جايْدا

الفائزة في مسابقة إبداع ٢٠١٨

رواية

مصطفى شلبي

الكتـــــــــــاب: جايدا

المـــــؤلـــــف: مصطفى شلبي

تصميم الغـــلاف: محمد دربالة

المراجعة اللغوية: MK

الطبعة الأولي: فبراير 2019

رقـم الإيـــداع: 2018 / 23829

الترقيـم الـدولـي: 978 - 977 - 6590 - 20 - 5

الإخـراج الفنـــي: MK for Publishing and Distribution

المدير العام: محمد عبدالعال قاسم

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 3 ش محمد يوسف من سليمان جوهر – الدقى- جيزة

موبايل: 01003002847

البريد الإلكتروني: .mkbookstor@gmail

جايْدا

الفائزة في مسابقة إبداع ٢٠١٨

رواية

مصطفى شلبي

M.K
Publishing
Distribution
2019

مـلحـوظـة

جايدا هو أسم أجنبى يُطلق على الفتيات ومعناه الحلية او الجوهرة النفيسة

«العائلة، كلمة صغيرة لكنها تحوي بداخلها على الكثير من المعاني والمشاعر الإنسانية، فالعائلة ليست مجرد أشخاص وأناس يعيشون معًا في مكان واحد وتجمعهم صلة قرابة ويجري في عروقهم نفس الدم، إنها أكبر من ذلك بكثير، فهي النجمة المضيئة في ليلة شديدة الظلمة، هي القشة التي تُنقذ الغريق في بحر متلاطم الأمواج، هي تلك الأوقات واللحظات التي لا يمكن أن تُمحَى من الذاكرة، هي أناس يعيشون فينا حتى وإن غابوا عنا، العائلة هي الأمان والسلام، هي النبض، وهي الروح فيها الحياة وإليها المُنتهَى».

الفصل الأول

منزل بسيط في تكوينه، جميع محتوياته من الأثاث والأجهزة الكهربائية القديمة الطراز، والتي تكاد تكون متهالكة، تلفاز قديم الطراز لا يتعدى قطره العشرين بوصة مغلق في انتظار التشغيل، بهدوء وروية تقدمت يد نحو زر التشغيل الخاص به، ليبدأ بعدها التلفاز بالعمل ليُطِل من خلاله أحد مذيعي النشرة الإخبارية ويتحدث قائلًا:

- والآن، ننتقل إلى أخبار الحوادث، فمنذ قليل وبأحد الأحياء الراقية في مدينة القاهرة، وقعت حادثة قتل دامية راح ضحيتها عائلة صغيرة، مات جميع أفرادها ولم ينجُ منهم سوى طفلة صغيرة تبلغ من العمر ثماني سنوات، تدعى «چايدا». هذا، وتواصل السلطات بحثها للوصول إلى مرتكب هذه الجريمة البشعة.

في هذه الأثناء، جاء صوت صراخ طفل صغير من إحدى الغرف، فامتدت اليد مرة أخرى إلى زر إيقاف التلفاز وأغلقته.

*****

قبل عام..

فيلا «عصام المليجي»، التجمع الخامس، مدينة القاهرة الجديدة.

داخل غرفة نومه الفاخرة وأمام مرآة كبيرة، وقف «عصام المليجي» يهندم ملابسه ويربط «الكارفات» حول عنقه، ثم تحرك ناحية السرير والتقط جاكت البدلة وارتداه، بعدها فتح درجًا مليئًا بأحدث وأفخم أنواع الساعات، فاختار واحدةً منها وربطها حول معصمه، ثم حمل حقيبتة «السامسونايت» السوداء وعاد مرة أخرى ينظر إلى المرآة ليتأكد من أن كل شيء مضبوط، فهو على قناعة تامة بأن الأناقة والشياكة وحسن المظهر هي أهم سمات رجل الأعمال الناجح.

بعدما تأكد «عصام» من أن أناقته وشياكته أصبحتا على أكمل وجه، غادر الغرفة ونزل على سلالم الفيلا حتى وصل إلى الطابق السفلي، حيث كانت «سعاد»

-إحدى عاملات الفيلا والمربية الخاصة بابنته «چايدا»- في انتظاره، فأعطى «عصام» «سعاد» الحقيبة «السامسونايت» خاصته قائلًا:

- ودّي الشنطة دي لجوزك، وقولي له يسخن العربية عبال ما أجيله.

- حاضر يا عصام بيه، أي أوامر تانية؟

- الهانم والأولاد فين؟

- مستنين سعادتك على السفرة.

- طيب روحي إنتِ اعملي اللي قُلت لك عليه.

ثم سار «عصام» باتجاه مائدة الإفطار، حيث كانت زوجته «دينا» جالسة على المائدة وعلى قدميها ابنها الصغير «ساجد» الذي قد تمَّ اليوم عامه الثاني، إذ كانت تضع «دينا» بعض لقيمات الطعام في فمه، وعلى يمينها تجلس الابنة الكبرى لهذه العائلة، «چايدا»، والتي تبلغ من العمر سبع سنوات، وكان يبدو على ملامحها الحزن والضيق إلى درجة أنها لم تضع أي شيء من الطعام في فمها، فطبق الطعام أمامها يبدو نظيفًا وأنيقًا وكأنما وُضِع للتصوير وليس للأكل.

بمجرد وصول «عصام» إلى مائدة الطعام، على الفور قبَّل زوجته من جبينها قائلًا:

- صباح الخير يا حبيبتي.

ردت «دينا» وقالت:

- صباح النور يا حبيبي.

ثم اقترب «عصام» من «چايدا» ليُقبِّلها، لكنه فوجئ بـ«چايدا» تبتعد عنه وتترك المكان وتجري ناحية باب الفيلا، فنظر «عصام» إلى «دينا» وقال:

- مالها چايدا؟ ومعناه إيه اللي عملته ده؟!

نظفت «دينا» فمَ «ساجد» من الطعام ثم قالت:

- أصلها لسه زعلانة منك.

- زعلانة مني تقوم تسيبني وتمشي بالشكل ده؟!

- أصلها مش متعودة إنك تضربها.

- أنا ضربتها امبارح علشان غلطت، واللي بتعمله دلوقتي ده مش صح، ده اسمه دلع ماسخ!

أنزلت «دينا» ابنها «ساجد» من على قدميها ووضعته على الكرسي المجاور لها، ثم نهضت واقتربت من «عصام»، وراحت تضبط له «الكارفات» قائلة:

- چايدا لسه صغيرة، كلها كام يوم وهتهدا وتبقى زي الفل، المهم إنتَ بقى متنساش الحاجات بتاعة عيد ميلاد ساجد.

- متقلقيش، أنا وصيت محل الحلويات وهيبعت التورت والجاتوهات قبل العصر، وكمان كلمت بتوع الزينة والعرايس وضبط معاهم كل حاجة، يعني اطمني وحطي في بطنك بطيخة صيفي.

وضعت «دينا» قبلة على خد «عصام» وقالت:

- ربنا يخليك لينا يا حبيبي وميحرمناش منك أبدًا.

قبَّل «عصام» «دينا» وقال:

- ولا يحرمني منكم، عايزة أي حاجة تانية قبل ما أمشي؟

- إنتَ مش هتفطر؟

- لا مفيش وقت، يدوب ألحق أوصل چايدا للمدرسة وأطلع على الشركة على طول، سلام.

- مع السلامة.

*****

المقر الرئيس لشركة «جولدن إيجل للسياحة»، مدينة شرم الشيخ.

العمل في مجال السياحة يتطلب العديد من المميزات والصفات، مثل حسن المظهر وإجادة التحدث باللهجات الأجنبية المختلفة، بالإضافة إلى العلاقات ببعض المسئولين، وذلك لتسهيل وتيسير الكثير من الأمور، أما الصفة الأهم والأبرز

والتي ستجعلك مميزًا في هذا المجال، هي أن تكون كالساعة، لا تقدم دقيقة ولا تتأخر دقيقة، فالسائحون الأجانب يحبون كثيرًا الانضباط في الوقت، ويعتبرونه نوعًا من أنواع الاحترام، وعدم الالتزام بالمواعيد يعتبر بالنسبة لهم إهانة وخطأ لا يُغتَفر.

الالتزام بالمواعيد والحفاظ عليها بالنسبة للعاملين في مجال السياحة يجعلهم يكسبون احترام السائحين، وبالتالي يَجنون الكثير من الأموال. والعكس صحيح، فعدم الالتزام بالمواعيد يجعلهم يخسرون الكثير من الأموال، وهذا ما جعل «هيثم السعيد» -أحد كبار المسئولين بشركة «جولدن إيجل للسياحة»- يشعر بالغضب والضيق، فتوجه مباشرةً إلى مكتب رئيس الشركة ليخبره عن تلك الأمور السيئة التي تحدث في الشركة وتهدد سمعتها، ومن المؤكد أنها ستؤدي إلى الكثير من الخسائر.

دخل «هيثم» إلى مكتبِ رئيس الشركة -وصديقه أيضًا- وهو في حالةٍ من الغضب، وبدأ يتكلم بعصبية قائلًا:

- اللي بيحصل ده كتير يا شريف، الشركة كده هتخسر عملاءها، وهنخسر فلوس كتير!

كان «شريف» يُراسِل فرع الشركة بلندن عبر اللاب توب الذي أمامه، فرفع رأسه ونظر إلى «هيثم» وقال:

- مالك يا هيثم؟! زعلان كده ليه؟ إيه اللي حصل؟

رد «هيثم» بعصبية وقال:

- يا شريف إنتَ صاحبي وزي أخويا، وكمان «هشام» ابن خالك صاحبي وأنا بعزه، بس اللي هو بيعمله في الشغل ده مينفعش!

أغلق «شريف» اللاب توب ثم تبسم وقال:

- أولًا، «هشام» يبقى ابن عمتي مش ابن خالي، أنا اللي أبقى ابن خاله، ثانيًا، أقعد كده واهدا وفهمني إيه اللي حصل بهدوء.

جلس «هيثم» ورد قائلًا:

- أنا عارف بقى ابن عمتك ولا ابن خالتك، إنتوا عائلة تلخبط أصلًا!

- هههههه، سيبك بقى من العائلة وقُل لي، إيه المشكلة؟

- المشكلة إن ابن عمتك الأستاذ «هشام» مبيردش على تليفونه، وروحت أسأل عليه في الفيلا بتاعته، البواب قال لي إنه مجاش من امبارح، وأنا مش عارف أوصل له خالص.

- طب وإيه المشكلة في كده؟! احنا متعودين إن «هشام» ملوش مواعيد محددة، عامل زي البرق بيظهر فجأة وبيختفى كمان فجأة.

- الكلام ده لما ميكونش عنده شغل، أو لما يكون الشغل بتاعه نقدر أنا وإنتَ نخلصه مكانه، إنما لما يبقى فيه شغل وهو الوحيد اللي يقدر يعمله وميعملوش، ده اسمه استهتار وخراب بيوت!

- إنتَ بتتكلم عن إيه يا هيثم؟!

- بتكلم على الفوج الإيطالي اللي المفروض قريبك يستقبله وينفذ برنامج الرحلة معاه، الفوج ده احنا مستنينوا بقالنا أكتر من سنة، إنتَ عارف إن السياحة الإيطالية قلّت قوي من ساعة موضوع ريجيني، وبعد ما نبذل مجهود رهيب علشان نجيب فوج سياحي من إيطاليا، يقوم قريبك يستغل إن هو الوحيد اللي في الشركة بيتكلم إيطالي ويختفي! قُل لي بقى والنبي، أنا أعمل إيه في الموقف ده؟!

- هي شراكة سودا! أنا عارف، يا ريتني ما كنت شاركتك يا «هشام»، وكنت فتحت الشركة دي لحسابي أحسن، على العموم، روح إنتَ يا هيثم كمل شغلك، وأنا هفضل وراء «هشام» لغاية ما أوصل له.

*****

داخل إحدى الغرف الفاخرة بأفخم وأشهر فنادق شرم الشيخ، استيقظت «صوفيا» وتوجهت مباشرةً صوب الحمام لتأخذ حمامها اليومي المعتاد، ثم ارتدت «مايوهًا» من نوع البكيني أحمر اللون، ووضعت في حقيبتها الصغيرة بعض كريمات البشرة والمناديل الورقية والعطر الخاص بها، ومن ثم ارتدت نظارتها الشمسية، وقبل أن

تغادر الغرفة، ذهبت إلى فراش النوم لتوقظ شريكها في الفراش، والذي قضى معها بالأمس ليلة ساخنة لا تقل في سخونتها عن الحرب العالمية الثانية، حيث تمكن هذا الشاب المصري من دكّ الحصون الإيطالية واقتحام كل النقاط السرية للعدو وقذف الرعب في منحنيات هذا الجسد الإيطالي الرائع، فكانت حقًا ليلة «Molto molto bello»!

حاولت «صوفيا» أن توقظ «هشام» الذي كان متعبًا من ليلة أمس، حيث تحدثت إليه بالإيطالية قائلة:

- استيقظ هشام، لا تكُن كسولًا.

رد «هشام» بالإيطالية وقال:

- اتركيني لأنام قليلًا، فأنا أحتاج إلى النوم بشدة.

- حسنًا، أنا ذاهبة إلى البحر، هل تريد مني شيئًا قبل أن أرحل؟

- ضعي هاتفي المحمول على الشاحن.

وضعت «صوفيا» هاتف «هشام» على الشاحن ثم غادرت الغرفة وتركت «هشام» يُكمل نومه، ما إن عاد هاتف «هشام» المحمول إلى العمل مرة أخرى حتى انهالت عليه كمية كبيرة من الرسائل، تبعتها مكالمة هاتفية من رقم غير مسجل في الهاتف، فحاول «هشام» تجاهل هذا الاتصال وعدم الرد عليه، الاتصال المتكرر من صاحب هذا الرقم والازعاج الشديد الذي سببته رنات الهاتف لـ«هشام» والتي جعلته غير قادرٍ على إكمال نومه، كل هذه الأشياء أجبرته على ترك النوم والرد على هذا المتصلِ المزعج، حيث مد «هشام» يده في اتجاه المنضدة التي بجواره، وأمسك هاتفه ورد وهو نائم على السرير قائلًا:

- ألو، مين معايا؟

- مين معاك؟! أنا أخوك عصام، إنتَ مسحت رقمي من عندك؟

استفاق «هشام» من نومه ووضع وسادة خلف ظهره ثم رد وقال:

- لأ، مسحت رقمك إيه بس! متقُلش كده يا كبير، هو بس تلاقي الموبايل هنج.

- والله ما حد مهنج غيرك إنتَ!

- هههههه، تسلم يا كبير، إنتَ أخبارك إيه؟ ودينا والأولاد عاملين إيه؟

- كلنا كويسين، بس ناقصنا إنك تبقى معانا، إنت بقالك ست سنين قاعد في شرم، مفكرتش تنزل القاهرة ولا مرة؟

أمسك «هشام» قطعة من الملابس الداخلية الخاصة بـ«صوفيا»، والتي كانت ملقاة بجواره على السرير، ورد قائلًا:

- مشاغل والله يا عصام، الشغل واخد كل وقتي.

- شغل إيه بس اللي يخليك مش فاضي تزور أخوك السنين دي كلها؟! وبعدين ما شريف ابن خالك شغال معاك، ومع ذلك بينزل القاهرة باستمرار وبيزور أهله، إنتَ اللي شكلك بقيت براوي!

- أبدًا يا عصام، أنا فعلًا كنت مشغول جدًا الفترة اللي فاتت، بس أوعدك إني أحاول آخد الفترة اللي جاية أجازة طويلة، وهقضيها كلها معاكم.

- براحتك يا هشام، أنا كنت عايز الأولاد يشوفوك ويعرفوا إن ليهم عم، ويحسوا إن ليهم قرايب يقدروا يتسندوا عليهم في أي وقت، على العموم، أنا كنت بكلمك النهارده علشان أعزمك على عيد ميلاد ساجد، رغم إني عارف إنك مش هتيجي زي كل مرة.

- إن شاء الله يا عصام، هحاول إني أحضر، وهجيب له هدية كبيرة قوي.

- أنا مش عايز هدية يا هشام، أنا عايزك إنتَ، عايزك تكون معانا ووسطنا، احنا في الأول والآخر ملناش غير بعض.

- ربنا يقدم اللي فيه الخير يا عصام.

انتهت المكالمة بين «هشام» وأخيه الأكبر «عصام»، فوضع «هشام» هاتفه المحمول على المنضدة، ووضع رأسه على الوسادة آملًا في أن يعود إلى النوم مرة أخرى، وقبل أن يُغمض عينيه، عاد هاتفه المحمول إلى الرن مرة أخرى، فنهض «هشام» مرة أخرى وأمسك هاتفه ليرى من الذي يتصل به هذه المرة، وحين نظر إلى هاتفه وجد المتصل هذه المرة هو «شريف»، فردَّ عليه، وقبل أن ينطق

«هشام» بكلمة واحدة، انهال عليه «شريف» بوَصلة من السباب والشتائم قائلًا:

- إنتَ فين يا عم الزفت؟ وقافل موبايلك ليه؟

- الناس بتقول في أول المكالمة السلام عليكم، صباح الخير، إيه الأخبار... مش بيشتموا بعض على طول كده!

- هييجي منين بس الخير وإنتَ قاعد مأنتخ وسايب الشغل يضرب يقلب؟! يا أخي راعي ربنا في شغلك علشان ربنا يكرمك.

- خليك معايا ثواني، هولع بس سيجارة علشان أعرف أتهزق بمزاج!

ثم سحبَ «هشام» علبة السجائر من على المنضدة وأخرج منها سيجارة، ثم أشعلها بقداحته «الزيبو» الذهبية، ومن ثم أكمل حديثه مع «شريف» قائلًا:

- هو النهارده شكله يوم التهزيق العالمي، أخويا يهزقني من شوية، وإنتَ تهزقني دلوقتي! خير يا شريف، إيه اللي حصل؟

- الفوج الإيطالي اللي احنا بقالنا سنة مستنينوا.

- ماله؟

- إنتَ هتستهبل يا هشام؟! مش المفروض إنك تكون دلوقتي في المطار بتستقبلهم وبعد كده تاخذهم تسكنهم في الفندق اللي احنا حاجزين لهم فيه؟

- كلامك مضبوط.

- ولما أنا كلامي مضبوط، إنتَ قاعد عندك بتهبب إيه؟!

نظر «هشام» إلى ملابس «صوفيا» الداخلية التي بجانبه وقال:

- بنزِّلهم!

- هما مين دول؟

- الفوج الإيطالي.

- أنا مش فاهم حاجة!

- الفوج الإيطالي اللي إنتَ بتتكلم عليه، واللي أكيد الأستاذ هيثم كلملك عليه النهارده، بعت من يومين فاكس وقال فيه إنهم غيروا معاد رحلة الوصول، وخلوها امبارح بدل النهارده، وعلشان أنا موظف مُخلِص وبخلي بالي من شغلي، روحت امبارح المطار وجِبت الفوج الإيطالي من هنَاك، ونزلتهم في الفندق اللي احنا حاجزين لهم فيهَ، شُفت بقى قد إيه أنا بشوف شغلي بكل أمانة وإخلاص وإنك كنت ظالمني؟!

- حقك عليَّ يا هشام، وأي حاجة إنتَ تطلبها هعملها لك فورًا.

وضع «هشام» السيجارة في طفاية السجائر وفركها حتى انطفأت، ثم رد على «شريف» وقال:

- الحاجة الوحيدة اللي أنا عايزها منك دلوقتي، هي إنك تنهي المكالمة لأني هموت وأنام، سلام.

*****

بشعره الأبيض الناعم ووجهه الذي يدبُّ بالدموية وعيناه الزرقاوان، جلس رجل الأعمال «عاصم الدسوقي» على مكتبه الفخم واضعًا سيجارًا من النوع الفاخر في فمه، وكأنه أمير أو ملك من ملوك الأرض، ولمَ لا وهو في الأصل ينحدر من أصول أجنبية أثرت كثيرًا في شخصيته وجعلته كثيرًا ما يشعر بالغرور ويتعالى على الآخرين! وبرغم الحالة المادية الممتازة للسيد «عاصم» وامتلاكه الكثير من الشركات والعقارات والسيارات، فقد كان ينتظر خبرًا هامًّا سيغير كثيرًا من الجانب المادي له.

في هذه الأثناء، دخل عليه ابنه «حسام» وجلس أمامه، فتحدث «عاصم» في لهفةٍ قائلًا:

- عملت إيه مع البنك؟ طمني!

- قدمت طلب القرض وحطيت لهم كل الضمانات اللي كانوا طالبينها، وقالوا لي إنهم هيردوا علينا خلال الأسبوع اللي جاي.

- القرض ده لو اترفض يا حسام، هيبقى فيه خسارة كبيرة قوي لينا، والمشروع

اللي كنا هندخُله مع الجماعة الصينيين هيروح علينا، ومركزنا المالي هيبقى مش كويس.

تنهد «حسام» وقال:

- عارف، واللي قالقني المرة دي إن مدير البنك الجديد راجل صعب قوي، بيطلع الفلوس بالقطارة، وملوش في العمولات والسمسرة، يعني لو مقتنعش بالورق اللي احنا مقدمينه، يبقى مش هناخد القرض ده أبدًا.

- احنا بقينا في موقف صعب قوي يا حسام، القرض ده بالنسبة لي بقى مسألة حياة أو موت.

- أنا عندي فكرة!

- إيه هي؟

- دينا كلمتني النهارده وعزمتني على عيد ميلاد ساجد، إيه رأيك واحنا هناك، نكلم عصام في موضوع المشروع بتاعنا مع الجماعة الصينيين، وندخَّله معانا شريك، على الأقل هيريحنا من القرض وفوائده الكتيرة، قُلت إيه في الفكرة دي؟

- انسَ الموضوع ده! عصام مبيشاركش حد، وبعدين أنا مقاطع عصام وأختك دينا بقالي كذا سنة، فصعب إني أروح له دلوقتي وأكلمه في موضوع زي ده.

- خلاص، احنا ممكن نخلي دينا تكلمه.

- أنا قُلت مش هاخد فلوس من عصام، يعني مش هاخد فلوس منه، خلاص انتهينا! وإن كان على المشروع بتاع الجماعة الصينيين، فأنا هتصرف وهجيب فلوس المشروع بأي شكل وبأي ثمن!

*****

منذ فترة قصيرة، تبدلت أحوال «چايدا» وتغير سلوكها ونمط حياتها بشكل غير طبيعي، فالطفلة الصغيرة ابنة السبعة أعوام، والتي كانت تملأ الدنيا بالمرح والسعادة والصخب والابتسامة لا تفارق وجهها الأبيض البشوش، أصبحت الآن في عُزلة تامة عن العالم المحيط بها، وكأنها انتقلت من حياة إلى أخرى، لكن الحياة

الجديدة التي تعيش فيها الآن لا يوجد بها مرح ولا سعادة ولا صخب، فقط الحزن والضيق هما المسيطران على العالم الجديد لـ«چايدا»، فاختفى الوجه البشوش دائمَ الابتسام، وحلَّ بدلًا منه وجه آخر عابس حزين، وجه إذا فكر يومًا في الابتسام احترق!

التغير المفاجئ في تصرفات «چايدا» وفي سلوكها وحتى في ملامح وجهها أثار فضول «مها العاصي»، مُدرِّسة الرسم والتي تحب «چايدا» كثيرًا، نظرًا إلى موهبتها الفذة وبراعتها في الرسم، وخلال حصة الرسم، وبينما كانت «مها» تسير كعادتها بين الطلاب لترى ما قاموا به من أعمال رسم وتلوين، لاحظت التغير الواضح على ملامح «چايدا»، ولفت نظرها الرسمة الغريبة التي رسمتها «چايدا»، حيث رسمَت عائلتها بطريقة بشعة، فالملامح مشوهة تمامًا، وجميعهم ملونين باللون الأسود، رؤية «مها» لتلك الرسمة البشعة، والتي لا تخرج من فتاة بنصف موهبة «چايدا» في الرسم، وإحساس «مها» بأن هناك شيئًا ما بـ«چايدا»، جعلها تقف أمام «چايدا» وتتحدث إليها قائلة:

- مين الناس دول اللي في الرسمة دي يا چايدا؟

أشارات «چايدا» بإصبعها على الرسمة وقالت:

- دول عيلتي، ده بابي عصام، ودي مامي دينا، والصغير ده أخويا ساجد.

- طب وإنتِ رسماهم شكلهم وحش كده ليه؟ إنتِ مش بتحبيهم؟!

- بحبهم، بس هما هيموتوا!

تعجبت «مها» من إجابة «چايدا» الغريبة وقالت:

- ليه بتقول لي كده؟!

هنا تبدلت ملامح «چايدا»، وابتسمت ابتسامة يملؤها الشر وقالت:

- لأن أنا عايزاهم يموتوا!

هذه الإجابة المريبة وغير المتوقعة أثارت دهشة «مها»، والأهم من ذلك، أنها أثارت خوفها، فالكلمات والإجابات التي تقولها «چايدا» لا تخرج من طفلة لا

يتجاوز عمرها السبع سنوات، لذا قررت «مها» إنهاء النقاش مع «چايدا» موقتًا إلى حين مقابلة والدها أو والدتها ومعرفة السبب الخفي الذي دفع هذه الطفلة الصغيرة إلى قول تلك الكلمات القاسية.

*****

خمسة أيام كاملة قضاها «هشام» برفقة الفوج السياحي الإيطالي، ما بين رحلات السفاري والغوص في مياه البحر الأحمر وزيارة المحميات الطبيعية، بالإضافة إلى التخيم في إحدى الجزر لعدة أيام، أوقات رائعة قضاها «هشام» برفقة الفوج السياحي الإيطالي، وبالأخص مع صديقته «صوفيا»، حيث قضى الاثنان معًا أوقاتًا لا تُنسَى، حصلت فيها «صوفيا» على الحب، وحصل فيها «هشام» على قلادة منقوش عليها بعض الرسومات والكلمات الغريبة وغير المفهومة، إذ أعطتها له «صوفيا» كهدية وكتذكار بالأوقات واللحظات السعيدة التي قضياها معًا.

عاد «هشام» إلى بيته حيث استقبله حارس البيت قائلًا:

- الحمد لله على السلامة يا هشام بيه.

- الله يسلمك، نزِّل الشنط من العربية ودخلها جوه.

- حاضر يا هشام بيه، بس أنا كنت عايز أقول لك على حاجة.

- قول.

- الأستاذ شريف سأل عليك كذا مرة، وبيقول إنه بيتصل بيك، بس موبايلك مقفول.

- أنا فعلًا موبايلي فاصل شحن بقاله كام يوم، مقالش طيب هو عايزني في إيه؟

- لا مقالش، كل اللي قاله إن أول لما سعادتك توصل البيت، لازم تكلمه ضروري.

- روح إنتَ نزِّل الشنط، وأنا هدخل أشحن الموبايل وأكلمه.

ثم دخل «هشام» إلى البيت، ووضع هاتفه المحمول على الشاحن، فبدأت تصله كمية كبيرة من الرسائل، جميعها تخص «شريف» وبعنوان واحد: «هذا الرقم حاول الاتصال بك»، فاتصل «هشام» بـ«شريف»، والذي رد مباشرة وقال:

- أخيرًا رديت على التليفون!

- التليفون كان فاصل شحن، المهم قُل لي، إنتَ كنت عايزني في إيه؟

- البقاء لله يا هشام!

- مين اللي مات؟!

- أخوك عصام ومراته دينا وابنهم ساجد.

- إنتَ بتقول إيه يا شريف؟! ده عصام لسه مكلمني من كام يوم عشان عيد ميلاد ساجد، إنتَ شكلك بتهزر، صح؟!

- أنا عارف إن الصدمة شديدة عليك، بس ده قضاء الله وقدره، والمفروض علينا إننا نصبر ونحتسب، في الأول والآخر كلنا هنموت، لا دايم إلا وجه الله!

- معاك حق! الوفاة حصلت ازاي؟ وچايدا عامله إيه؟ إنتَ مجيبتش سيرتها خالص!

- حريقة حصلت في الفيلا وولعت فيهم وهما نايمين، والجثث كلها طالعة محروقة ومشوهة تمامًا، الوحيدة اللي نجت من الحريقة هي چايدا، كان فيها حروق بس حالتها بقت أحسن، وهي دلوقتي موجودة في مستشفى المعادي الخاصة، أنا بروح لها كل يوم.

- ربنا يرحمهم، أنا هسافر على القاهرة حالًا، يعني كلها كام ساعة إن شاء الله وتلاقيني عندك.

- يا ريت يا هشام، چايدا دلوقتي مبقاش ليها حد غيرك، إنتَ دلوقتي بقيت كل عيلتها.

العائلة كلها في شخص واحد، هكذا أصبح «هشام» بالنسبة إلى «چايدا»، فهل يصلح «هشام» لهذه المهمة الصعبة والمسئولية الكبيرة؟ وهل «هشام» هو حقًا الشخص المناسب لهذه المهمة؟ هذا ما ستكشفه الأوقات والأحداث القادمة.

الفصل الثاني

بعد رحلة طويلة من شرم الشيخ إلى القاهرة، قطع خلالها «هشام» مئات الكيلومترات بسيارته، وصل أخيرًا إلى مدينته القديمة (القاهرة)، فكانت وجهته الأولى هي المستشفى التي تمكث فيها «چايدا»، بمجرد وصول «هشام» إلى المستشفى، وجد «شريف» في انتظاره أمام مدخل المستشفى ويقول له:

- الحمد لله على السلامة يا هشام.

نزل «هشام» من السيارة واحتضن «شريف» وحيَّاه قائلًا:

- الله يسلمك يا شريف، أخبار چايدا إيه؟

- أنا لسه نازل من عندها، والحمد لله حالتها الصحية بقت أحسن من الأول بكتير.

رد «هشام» وقال:

- الحمد لله!

ثم تحرك إلى داخل المستشفى قائلًا:

- تعالى بقى معايا علشان توريني أوضتها.

مد «شريف» يده وأمسك بذراع «هشام» ليوقفه، ثم قال:

- بلاش تطلع لها دلوقتي!

- ليه؟! إنتَ مخبي عني إيه يا شريف؟!

- مش مخبي عنك حاجة، كل الحكاية إن عائلة مرات أخوك الله يرحمها فوق عند چايدا، وأنا عارف كويس إن مفيش بينك وبينهم عمار، فتعالى نقعد في الكافتيريا بتاعة المستشفى شوية نشرب أي حاجة، وأول لما ينزلوا ابقى اطلع إنتَ.

تحدث «هشام» بعصبية قائلًا:

- هما كمان هيمنعوني من إني أشوف بنت أخويا؟!

- اهدا يا شريف، الموضوع مش كده! مفيش حد يقدر يمنعك إنك تشوف بنت أخوك، أنا بس بقول إن الوضع دلوقتي مش محتاج مشاكل، والأحسن إننا نستنى لغاية لما ينزلوا، وبعدين نطلع احنا ونقعد مع چايدا براحتنا.

- ماشى يا شريف، طالما إنتَ شايف إن ده الصح، فأنا موافق عليه.

- يبقى يلا بينا على الكافتيريا.

*****

يُقال إن الخال هو بمثابة الأب لأبناء أخته، إن كانت هذه المقولة صحيحة، فيمكن القول بأن الخالة هي الأم الثانية والأخت الكبرى والصديقة الأولى لأبناء أختها، ولا عجَب في أن تجد كل هذه الصفات مجتمعة معًا في شخص واحد من العائلة، فالخالة تحمل بطبيعتها جينات الأم المُحبة والأخت الحاضنة والصديقة الناصحة، باختصار شديد، إن الخالة هي الحضن الآمن لأبناء أختها.

كل هذه الصفات الرائعة اجتمعت معًا في شخص «سارة»، الأخت الصغرى لـ«دينا»، حيث رفضت «سارة» مغادرة المستشفى طيلة الفترة الماضية، وأصرَّت على أن تكون بجوار «چايدا» وترافقها ليلًا ونهارًا حتى تتحسن حالتها الصحية، فكانت «سارة» خلال الأيام الماضية نعْم الأم لـ«چايدا»، ولكن أن تكون حمَلًا وديعًا وسَط قطيع من الذئاب، فهذا يعني أَنكَ هالكٌ لا محالة! فالسيد «عاصم» كان يرى أن بقاء «سارة» بالمستشفى لم يعُد له داعٍ، خاصةً بعد تحسن الحالة الصحية لـ«چايدا» واقتراب موعد خروجها من المشفَى.

داخل الغرفة التي تمكث فيها «چايدا» للعلاج، حدثت مشادة كلامية بين السيد «عاصم» وابنته «سارة»، حيث تحدث السيد «عاصم» إلى «سارة» وقال:

- أنا شايف إن وجودك هنا مبقاش ليه لزوم، چايدا خلاص حالتها اتحسنت، وكلها يوم أو اثنين وتطلع من المستشفى، فالأحسن إنك ترجعي البيت.

- أنا مش همشي من المستشفى غير لما چايدا تخِف وترجع أحسن من الأول، وبعد لما تخف هاخدها تعيش معايا.

- الكلام اللي بتقوليه ده مش هيحصل! إنتِ وچايدا هتيجوا تعيشوا معايا في

الفيلا.

- بعد اللي إنتَ عملته فيَّ أنا لا يمكن أرجع أعيش معاك تاني!

تحدث السيد «عاصم» بعصبية شديدة قائلًا:

- أنا صبرت عليكِ كتير يا سارة، بس زي ما بيقولوا للصبر حدود، كلامي هيتنفذ غصب عنك، وإذا كنت الفترة اللي فاتت سمحت لك إنك تعيشي لوحدك بعد ما اتطلقتي، فده لأني كنت فاكر إن العيشة لوحدك هتساعدك في نسيان تجربة جوازك الفاشلة، بس ده مش معناه إن الوضع ده هيستمر على طول، كل شيء وله آخر!

- تجربة الجواز اللي حضرتك وصفتها بإنها فاشلة، مكنتش أنا السبب فيها، حضرتك اللي كنت السبب، إنتَ اللي جوزتني لإنسان أنا مش بحبه لمجرد إنه رجل أعمال خليجي، ومعاه ملايين وهيشاركك في مشاريع كتير، والجوازة اللي تتبني على الفلوس والمصالح ملهاش غير نهاية واحدة، وهي الفشل.

- يعني أنا المسئول عن فشل جوازك؟! ويا ترى أنا برضه المسئول عن إنك تكوني عاقر مبتخلفيش؟! أي راجل مكان جوزك كان هيطلقك لأنك أرض بور مهما اتحرث فيها مش هتطلع زرع!

هذه الكلمات القاسية جعلت «سارة» تشعر بالإهانة، فردت على والدها وعيناها ترقرق بالدموع قائلة:

- أنا فعلًا مبخلفش، ومش هخلف، بس عندي قلب ومشاعر، لكن إنتَ لا عندك قلب ولا تعرف حاجة اسمها إحساس ومشاعر!

نهض السيد «عاصم» من مكانه وحاول ضرب «سارة»، لكن «حسام» تدخل ومنعه من فعل ذلك، وسحبه إلى خارج الغرفة، ثم تحدث إليه قائلًا:

- اهدا يا بابا، سارة مش قصدها تهينك.

تحدث «عاصم» بعصبية شديدة قائلًا:

- بنت قليلة الأدب! اسمَع يا حسام، الكلام اللي هقوله يتنفذ بالحرف الواحد.

- حاضر يا بابا، اهدا إنتَ بس وأنا هعملك كل اللي إنتَ عايزه.

- من بكرة سارة وچايدا ييجوا يعيشوا معانا في الفيلا، مفهوم؟

- مفهوم يا بابا، احنا نطلع دلوقتي على الشركة، وبكرة الصبح أنا بنفسي هروح المستشفى وآخد سارة وچايدا وأجيبهم عندنا في الفيلا.

هدَّأت هذه الكلمات من حالة الغضب التي كانت تتملك السيد «عاصم»، فغادر المشفى برفقة ابنه «حسام»، في انتظار وفائه بوعده له وإحضار «سارة» و«چايدا» للعيش معه.

*****

بعيدًا عن حالة التوتر والغضب التي كانت في غرفة «چايدا»، كانت توجد حالة من الهدوء والسكينة داخل كافتيريا المستشفى، حيث جلس كلٌّ من «هشام» و«شريف» يتناولان بعض المشروبات الساخنة ويتحدثان قليلًا في انتظار مغادرة «عاصم الدسوقي» وعائلته المستشفى.

في هذا الوقت، تحدث «شريف» إلى «هشام» وقال:

- القعدة دي جت مصلحة لينا، لأني بصراحة كنت عايز أقول لك على معلومة مهمة بخصوص حادثة وفاة أخوك.

- قول يا شريف.

- حادثة وفاة أخوك ومراته وابنه مكانتش قضاء وقدر زي ما احنا كنا فاكرين.

- إنتَ تقصد إنهم اتقتلوا؟!

- بالضبط كده.

- وإنتَ عرفت منين؟!

- الضابط اللي ماسك القضية طلع صاحبي، وهو اللي قال لي إن فيه شُبهة جنائية في الموضوع، لأنهم وهما بيعاينوا الفيلا بعد الحريق، ملاقوش أي قطعة من الذهب بتاع مرات أخوك، وكمان الخزنة بتاعة أخوك عصام كانت مفتوحة وفاضية، وده معناه إن فيه حرامي دخل وسرق الذهب، وعلشان يداري على موضوع

السرقة ولَّع في الفيلا، فيبان الموضوع كإنه حادثة حريق عادية، ويبقى المتهم في القضية هو القضاء القدر.

- ابن الكلب! يعني علشان يسرق شوية ذهب وفلوس يموت عائلة بحالها بالطريقة البشعة دي؟! حسبي الله ونِعْم الوكيل!

- على العموم متقلقش يا هشام، الضابط صاحبي اللي ماسك القضية وعدني إنه هيحاول يوصل للجاني في أقرب وقت ممكن.

- أنا مش هستنى لغاية لما صاحبك يتكرم ويتعطف ويقبض على اللي قتل أخويا، أنا هدور عليه بنفسي، وساعتها هخليه يتمنى الموت ومش هيطوله!

في هذه الأثناء، لاحظ «هشام» و«شريف» خروج «عاصم الدسوقي» وابنه «حسام» من المستشفى، حيث ركب «عاصم» وابنه «حسام» إحدى السيارات الفاخرة ومن ثم غادروا المستشفى، هنا نهض «هشام» وقال لـ«شريف»:

- عاصم وابنه مشيوا خلاص، يلا بينا بقى نطلع لچايدا.

نهض «شريف» ثم قال:

- لا يا برنس، اطلع لها إنتَ لوحدك، هي في الدور الرابع أوضة 105.

- وإنتَ مش هتطلع معايا ليه؟!

- يا عم أنا من ساعة ما نزلت القاهرة مزورتش خطيبتي ولا مرة، وأنا بصراحة مخبي عليها إني في القاهرة، لأنها لو عرفت إني نزلت القاهرة ومزورتهاش هتنكد عليا وهتبقى ليلتي سودا!

- ما البنات كانوا قدامك في شرم زي الفل، حبكِت يعني تسيبهم وتخطب من القاهرة!

- أعمل إيه، حُكم القوي! أمي حكمت عليَّ لازم أتجوز من عيلتها، وأنا مقدرش أقول لها لأ، لو احتجت أي حاجة كلمني.

- أكيد، هو أنا ليَّ حد غيرك.

غادر «شريف» المستشفى وتوجه «هشام» إلى داخل المستشفى ليطمئن على «چايدا»، صعد «هشام» إلى غرفة «چايدا» وهو يظن أن عائلة «عاصم الدسوقي» بكاملها قد غادرت المستشفى، ولكن عندما وصل إلى غرفة «چايدا»، وجد «سارة» تجلس على أحد المقاعد أمام الغرفة، وبدا على ملامحها الحزن والضيق.

رؤية «هشام» لـ«سارة» أعاد إليه بعضًا من ذكرياته الجميلة، فهذه الفتاة كانت ولا تزال هي حبه الأول والأخير، ولولا تعنُّت السيد «عاصم» ورفضه لعلاقة الحب بين «هشام» و«سارة»، لتبدل اسم «سارة» وأصبحت تُلقَّب بـ«مدام هشام المليجي»، حب «هشام» لسارة جعله يقترب منها، ومن ثم تحدث إليها قائلًا:

- ازيك يا سارة؟ عاملة إيه؟

نهضت «سارة» من على الكرسي وأجابت على سؤال «هشام» بصفعة على وجهه، ثم قالت:

- لسه فاكر تسأل عن چايدا دلوقتي؟!

- والله لسه عارف موضوع الحادثة ده امبارح، وأول لما عرفت جيت على طول!

- مصدقاك.

ثم صفعت «سارة» «هشام» على وجهه مرة أخرى، فتعجب «هشام» وقال:

- لازمته إيه القلم التاني ده بقى؟!

- القلم التاني علشان اتخليت عني وعن حبي ليك وهربت وسيبتنى أعيش أسوأ أيام حياتي!

- وجودي هنا مكانش هيغير حاجة، لأن أبوكِ كان حاسم قراره، وعمره مكان هيوافق على ارتباطي بيكِ، فكان الحل الأنسبَ بالنسبة لي هو إني أبعد، يمكن أقدر أنساكِ.

- إنتَ مش بس نسيتني، إنتَ كمان نسيت عيلتك، ونسيت بنت أخوك، الطفلة اليتيمة اللي المفروض إنك دلوقتي بقيت أبوها وسندها في محنتها، للأسف يا هشام، إنتَ هتفضل زي ما إنتَ مهما اتغيرت السنين، هتفضل عايش لنفسك

وبس!

- معاك حق تقولي كده وأكتر كمان، بس أنا فعلًا اتغيرت، والأيام اللي جاية هتثبتلكَ كلامي.

أخذت «سارة» حقيبة اليد النسائية خاصتها من على المقعد ثم قالت:

- البنت اللي جوه هي اللي محتاجة لهشام جديد، مش أنا، خلي بالك منها وحافظ عليها، عشان تبقى عملت حاجة واحدة صح في حياتك.

بعدها غادرت «سارة» المكان وتركت «هشام» يقف أمام غرفة «چايدا» ينظر إليها من خلف زجاج الغرفة ويفكر، هل سيكون أبًا صالحًا لهذه الفتاة أم سيتخلى عنها ويتركها تمضي وحدها إلى مصيرٍ مجهول؟!

*****

الليل هو زمانهم، والظلام هو موطنهم، وإيذاء البشر هو عقيدتهم، إنهم أكثر أنواع الجن خطورة وأكثرهم إيذاءً للبشر، يُسمُّون أنفسهم «الحراس»، ولكنهم في الأصل ملاعين وخائنون للعهد الموثق بين بني البشر والشياطين، إنهم الملاعين الثلاثة، شاب وفتاة وعجوز أحدب، عداوتهم دمار وحبهم لعنة، أي أن الشر يحيط بهم من جميع الجهات، وجودهم في مكان واحد يعني الموت والخراب.

مع حلول المساء، جلست «مها العاصي» تراجع رسومات الطلاب وتتفحص جميع الرسومات حتى تتمكن من تحسين أداء طلابها وتقوية موهبتهم في الرسم.

في داخل شقتها، وتحديدًا على طاولة الطعام، جلست «مها» وأمامها الكثير من الرسومات واللوحات، فكانت تراجع إحداها، وعندما تنتهي منها تضعها على يسارها وتسحب لوحة أخرى، حتى وصلت إلى اللوحة التي رسمتها «چايدا» منذ فترة، فراحت تنظر وتتفحص محتويات هذه الرسمة البشعة عسى أن تفطن إلى السبب الذي جعل «چايدا» ترسم مثل هذه اللوحة، اللوحة من الأمام لم يكن فيها أي شيء يفيد «مها» في بحثها، قلبَت «مها» الورقة فوجدت جملة مكتوب فيها: «لا تقرَب هولاء الملاعين الثلاثة، إنهم أهل شر، بل هم الشر ذاته، چورا، مازر، هان».

هذه الجملة غير المفهومة المعنى وما بها من أسماء غريبة أثارت دهشة وحيرة «مها» أكثر، فهي لا تعرف ما المقصود من هذه الجملة، ولماذا تكتب طفلة مثل «چايدا» مثل هذه الكلمات والأسماء على هذه الورقة.

الحيرة وكثرة الأسئلة التي أصبحت تدور في رأس «مها» أفقدتها بعضًا من تركيزها، فكان سبيلها الوحيد إلى استعادة تركيزها ونشاطها مرة أخرى هو الغوص في الماء الدافئ والاسترخاء بداخله لفترة، فخلعت «مها» نظارتها ووضعتها على الورق والرسومات التي أمامها، ثم نهضت من على الكرسي وذهبت إلى غرفتها لتُحضِر بعض الملابس الجديدة والبشكير استعدادًا للاستحمام.

فتحت «مها» خزانة ملابسها وأخرجت منها ملابس بيت جديدة وبشكيرًا وحملتهم معها إلى الحمام، وما إن وصلت «مها» إلى باب الحمام حتى فوجِئَت برسمة «چايدا» ملقاة أمام الحمام! هذا المشهد أصاب «مها» في البداية بالرعب، إلا أنها هدأت عندما وجدت نافذة الصالة مفتوحة والورق والرسومات متطايرة في كل مكان بالشقة، استعادت «مها» أنفاسها مرة أخرى ودخلت إلى الحمام، ثم خلعت ملابسها وغاصت في بانيو مليئ بالماء ورغوة سائل الاستحمام، وبينما كانت «مها» تستمتع بحمامها، بدأت الكهرباء تُنير وتنطفئ بشكل غريب حتى انطفأ نور الحمام تمامًا، وبعد ثوانٍ اشتعل ضوء المصباح الكهربائي الصغير الذي ينير مرآة الحمام، لتظهر على المرآة نفس الجملة التي كانت مكتوبةً على ظهر الرسمة الخاصة بـ«چايدا»: «لا تقرَب هولاء الملاعين الثلاثة، إنهم أهل شر، بل هم الشر ذاته، چورا، مازر، هان»، ثم عاد النور لينقطع مرة أخرى.

شعرت «مها» بخوف شديد، وحاولت أن تخرج من البانيو، لكنها أحست بشيء يمسك بها وينزل رأسها في الماء محاولًا إغراقها، قاومَت «مها» كثيرًا، ولكن دون جدوى، فالقوى التي تُمسك بها وتحاول قتلها أقوى منها بكثير، دقائق قليلة وانتهى كل شيء، فلم تعُد «مها» تقاوم، وانقطعت أنفاسها تمامًا، وبدأ اللون الأزرق ينتشر في جسدها كانتشار النار في الهشيم، لتصبح جثةً هامدة، في هذا الوقت، عادت الكهرباء إلى العمل مرة أخرى، وطارت رسمة «چايدا» بعيدًا عن الحمام.

*****

ما حدث لـ«مها» لم يكن بعيدًا عن «چايدا»، والتي رأت كل ما حدث لمُدرِّستها، فاستيقظت من نومها وهي في حالة من الفزع والخوف، تبكي وتصرخ بصوت عالٍ، صراخ «چايدا» أيقظ «هشام» الذي قضى الليلة بكاملها نائمًا على الأريكةً الموجودة في غرفة «چايدا»، ترك «هشام» الأريكة واندفع نحو سرير «چايدا» واحتضنها، وراح يُملِّس على شعرها قائلًا:

- اهدي يا چايدا، مالك خايفة كده ليه؟ مفيش حاجة هنا تخوف!

ردت «چايدا» وهي ترتعد من الخوف وقالت:

- ميس مها ماتت!

- مين ميس مها دي؟

- مُدرِّسة الرسم بتاعتي.

- وعرفتي منين إنها ماتت؟

- شُفتها في الحلم.

- يا شيخة! ده مجرد حلم يا حبيبتي وخلاص راح لحاله.

رفعت «چايدا» رأسها ونظرت في عين «هشام» وقالت:

- ده مش حلم، دي حقيقة!

- سواء كان حلم أو حقيقة، فأنا مش عايزك تخافي، طول ما أنا جنبك متخافيش من أي حاجة.

شعرت «چايدا» بالأمان والارتياح مع «هشام» على الرغم من أنها لم تكن تعرفه ولم ترَه من قبل، وهذا ما دفعها إلى التحدث إليه قائلة:

- إنتَ مين؟

تبسم «هشام» وقال:

- ليكِ حق متعرفينيش لأني مكونتش بزوركم، بس من النهارده أنا مش هسيبك تاني.

رفعت «چايدا» يدها الصغيرة وبدأت تحركها على وجه «هشام»، ثم قالت:

- إنتَ عمو هشام أخو بابا، صح؟

- صح، أكيد شُفتي صوري مع باباكِ.

- لا مشُفتهاش!

- أُمال عرفتيني ازاي؟!

- هما اللي قالوا لي.

- مين دول اللي قالوا لك؟

- مينفعش أقول لك هما مين، لأن ده سر، بس كل اللي أقدر أقولهولك، إنهم مش بيحبوك، وهيعملوا أي حاجة علشان يخلصوا منك.

لم يأخذ «هشام» كلمات «چايدا» على محمل الجد، حيث تبسم وقال:

- طب هما مش بيحبوني، إنتِ بقى بتحبينس ولا لأ؟

- أنا بحبك، بس أنا خايفة منهم.

ضمَّ «هشام» «چايدا» إلى حضنه وقال:

- طول ما أنا معاكِ متخافيش من أي حاجة ولا من أي حد، مفهوم؟

تبسمت «چايدا» ونظرت إلى «هشام» بعينين تملأهما الرقة والبراءة، وقالت:

- طب ممكن تنام جنبي عشان مخافش تاني؟

تبسم «هشام» ووضع قبلةً على رأس «چايدا» وقال:

- حاضر يا برنسيسة چايدا، هنام جنبك رغم إن السرير صغير.

ثم احتضن «چايدا» وشد غطاء السرير عليهما حتى عادت «چايدا» إلى النوم مرة أخرى، وراح «هشام» ينظر إليها ويتفحص هذا الكائن الملائكي الذي ينام في حضنه، فاكتشف حينها أن الكثير من سنوات عمره ضاعت هباءً، وأن ليلة واحدة بجوار هذه الملاك تعادل الدنيا وما فيها.

رحلة البحث عن السعادة هي واحدة من أصعب وأشقى الرحلات التي يمكن أن يمر بها المرء في حياته، فهناك من يقضي حياته كاملةً بحثًا عن السعادة ولا يجدها، فيضيع عمره هباءً، وهناك من تكون سعادته أمامه ولا ينتبه إليها، وهناك من تأتيه السعادة بعد عناء وشقاء وتذهب منه في غمضة عين، هذه هي طبيعة الحياة وهذه هي خياراتها، فتخيَّرً ما تشاء، ولكن اعلَم جيدًا أنك لن تحصل على سعادة دائمة طوال حياتك، لأن السعادة كالنقود، تبقى معك لفترة، ولكن حتمًا ستصرفها وتذهب إلى غيرك.

هذا بالضبط ما حدث مع «هشام»، فبعدما قضى ليلة سعيدة مع «چايدا»، استيقظ مرة أخرى على صوت بكاء وصراخ، حيث وجد «عاصم الدسوقي» وابنه «حسام» ومعهما الحرس الخاص بهما -أو ما يُسمُّون بـ«البودي جارد»- منتشرين في الغرفة ويجمعون متعلقات وملابس «چايدا»، والتي كانت تصرخ وتبكي رافضةً الذهاب مع جدِّها، استفاق «هشام» من سباته وثار في وجه «عاصم الدسوقي» قائلًا:

- إنتَ بتعمل إيه هنا؟ وماسك چايدا كده ليه؟!

لم يقبل «حسام» أن شخصًا مثل «هشام» يتحدث إلى والده بهذه الطريقة، فحاول الاحتكاك به والشجار معه قائلًا:

- وإنتَ مالك إنتَ؟! خليك في حالك أحسن.

في هذا الوقت، أحسَّ «عاصم الدسوقي» أن الأمور قد تخرج عن سيطرته، وقد تحدث مشاجرة واشتباك بالأيدي وربما بأكثر من الأيدي بين «هشام» وابنه «حسام»، فنظر إلى «حسام» وتحدث إليه قائلًا:

- مفيش داعي للكلام ده يا حسام، روح إنتَ لِم هدوم چايدا وأنا هتكلم مع هشام شوية.

انصاع «حسام» إلى كلام والـده وذهب لجمع ملابس «چايدا»، أما «عاصم الدسوقي» فعاد بنظره إلى «هشام» وتحدث إليه قائلًا:

- خير يا أستاذ هشام، كنت عايز تعرف إيه بقى؟

- عايز أعرف إنتَ جاي هنا ليه.

- أنا جاي علشان آخذ چايدا تعيش معايا.

- ومين قال لك إني هوافق على الكلام ده؟!

- يا حبيبي القرار هنا مش قرارك إنتَ!

- ولا قرارك إنتَ كمان!

- مضبوط، القرار هنا قرار چايدا، هي اللي هتختار إذا كانت عايزة تعيش معاك ولا تعيش معايا.

- باين قوي من عياط وصراخ چايدا إنها مش عايزة تعيش معاك، بس أنا موافق إنك تاخذ رأيها، اتفضل اسألها.

نزل «عاصم» برأسه قليلًا ليقترب من «چايدا» ثم تحدث إليها قائلًا:

- قولي لي يا حبيبتي، تحبي تعيشي مع مين، مع جدو عاصم ولا مع عمو هشام؟

أجابت «چايدا» قائلة:

- عايزة أعيش مع خالتو سارة.

هنا رفع «عاصم» رأسه وتحدث إلى «هشام» وقال:

- أظن كده ملكش حجة، البنت اختارتني أنا.

بتعجب شديد رد «هشام» وقال:

- اختارتك ازاي؟! دي اختارت خالتها سارة، يعني لا اختارتني ولا اختارتك!

- طالما اختارت خالتها يبقى اختارتني، لأن سارة هترجع تعيش معايا من النهارده، أظن كده الموضوع انتهى.

ثم التفت بنظره إلى «حسام» وقال له:

- لميت حاجة چايدا كلها؟

رد «حسام» وقال:

- تمام يا بابا، حطيت حاجتها كلها في الشنطة.

- عظيم! اسبقني إنتَ على العربية وأنا جاي وراك.

هنا تحدث «هشام» بعصبية وقال:

- تروح ورا مين؟! محدش هيتحرك من هنا، لو عايز تاخد چايدا يبقى تاخدها على جثتي!

في تلك الأثناء، دخل «شريف» إلى غرفة «چايدا»، حيث أمسك «هشام» وهدَّأه، ثم تحدث إليه وقال:

- في إيه يا هشام؟ إيه اللي بيحصل هنا؟!

رد «هشام» بعصبية شديدة وقال:

- عاصم بيه مش عايز چايدا تعيش معايا، وهياخدها تعيش معاه.

رد «شريف» وقال:

- الراجل معاه حق!

- إنتَ بتقول إيه يا شريف، إنتَ عايز تجنني؟!

- اهدا كده وأنا هفهمك.

ثم نظر «شريف» إلى «عاصم» وقال:

- احنا آسفين يا عاصم بيه، تقدر تاخد چايدا وتمشي.

أخذ «عاصم» «چايدا» وغادر المكان تاركًا «هشام» في دهشة وحيرة من تصرف قريبه وأعز أصدقائه «شريف»، حيث تحدث قائلًا:

- إيه اللي إنتَ عملته ده يا شريف؟! أنا مش مصدق إنك وافقت إنه ياخد چايدا تعيش معاه! إنتَ يا شريف تعمل فيَّ أنا كده؟!

- اهدا كده يا هشام وخلينا نكلم بالعقل شوية.

جلس «هشام» على الأريكة وقال:

- أديني هديت أهو يا شريف، ممكن بقى تفهمني معناه إيه اللي إنتَ عملته ده.

- خلينا نتكلم بالعقل شوية، چايدا بنت صغيرة، ومحتاجة رعاية كبيرة، خصوصًا بعد الفترة الصعبة اللي مرت بيها، وإنتَ يادوب بتعرف تقلي بيضتين، يعني موضوع رعاية چايدا مش سهل عليك، فمن مصلحة البنت إنَها تعيش مع جدها، مش معاك إنتَ.

- لو على الرعاية، فأنا هجيبلها مربية مخصوص تخدمها وتاخد بالها منها.

- المربية لوحدها مش حل، لازم إنتَ كمان تتعلم ازاي تكون مسئول عن طفلة صغيرة، الموضوع مش سهل صدقني.

- أنا همشي ورا كلامك المرة دي، بس لو البنت حصلها حاجة هيبقى ذنبها في رقبتك.

تبسم «شريف» وقال:

- هي دي يعني أول مرة تمشي فيها ورا كلامي؟! ما إنتَ طول عمرك بتسمع كلامي وبتمشي وراه، لِم بقى حاجتك ويلا بينا نروح نفطرعلى حسابك.

- كمان على حسابي!

- أيوه طبعًا على حسابك، أنا داخل على جواز والحالة معايا ضنك على الآخر.

- هههههه، يلا يا عم المفلس، الله يخربيت دي قرابة يا شيخ!

الفصل الثالث

بعدما قضى النهار بكامله مع صديقه المقرب «شريف»، ذهب «هشام» إلى منزله كي يستريح قليلًا ويفكر فيما سيفعل في قادم الأوقات، فكانت وجهته وملاذه الآمن هي شقته القديمة بمنطقة الزمالك، والتي هجرها منذ أكثر من ست سنوات.

أمام باب شقته القديمة، وقف «هشام» يُقلِّب في سلسلة مفاتيحه بحثًا عن مفتاح الشقة، وكان إلى جواره حقيبة السفر خاصته وكلبته الهاسكي، والتي يُطلِق عليها «هشام» اسم «بوو»، بعد الفحص والبحث في سلسلة مفاتيحه، عثر «هشام» أخيرًا على مفتاح الشقة، ففتَحَ باب الشقة ومن ثم مد يده اليمنى وضغط على زر الإنارة، فأنارت الشقة بكاملها، ليجد «هشام» نفسه واقفًا وسَط كمية كبيرة من التراب والأوساخ، وبمجرد أن فتح «هشام» باب الشقة تركته كلبته «بوو» وجرَت إلى داخل الشقة.

سحب «هشام» حقيبته إلى الداخل وأغلق باب الشقة، وبدأ يتجول داخلها باعثًا نظراته يمينًا ويسارًا متأملًا هذا المكان الذي قضى فيه أفضل وأجمل سنوات عمره، وبينما كان «هشام» يتجول في شقته، فإذا به يرى صورة صغيرة موضوعة على ترابيزة الصالون والأتربة والأوساخ منتشرة عليها بشكل كبير، فأمسكَ «هشام» بالصورة وراح ينفض التراب والغبار عنها، ومع انقشاع التراب عن الصورة، بدأت مشاعر مختلطة من الحنين والحزن والعشق تضرب عقله وقلبه، فهذه الصورة كانت من فرح أخيه «عصام»، حيث كان يظهر «هشام» على يمين الصورة وإلى جواره أخيه «عصام» وزوجته «دينا»، وآخر شخص في الصورة كان «سارة»، هذه الصورة جعلت «هشام» يشعر بالحزن على رحيل أخيه وزوجته، ولكنها أيضًا حركت بداخله مشاعر العشق والغرام القديمة تجاه «سارة»، فأعاد «هشام» الصورة إلى مكانها وأخرج هاتفه المحمول واتصل بـ«سارة»، والتي ما إن ردَّت على المكالمة حتى تحدث هو إليها قائلًا:

- ازيك يا سارة؟ أخبارك إيه؟

- مين معايا؟

- أنا هشام!

- هشام! إنتَ غيَّرت رقمك؟

- غيرته من فترة، بس برضه لسه محتفظ برقمِك معايا.

- كويس إنك لسه محتفظ بيه.

- مش رقمك بس اللي أنا محتفظ بيه لغاية دلوقتي، أنا كمان محتفظ بكل ذكرى لينا مع بعض، وبكل الأوقات واللحظات الحلوة اللي عشناها مع بعض، والأهم من كل ده إني لسه محتفظ بحبك.

- مفيش داعي يا هشام للكلام ده، احنا قصتنا مع بعض خلاص انتهت ومش هترجع تاني.

- ممكن تكون انتهت بالنسبة لك إنتِ، إنما بالنسبة لي هتفضلي أول وآخر وأجمل قصة حب عشتها في حياتي.

- الكلام عن الماضي والذكريات مبيجيش من وراه غير وجع القلب، فخلينا نتكلم في موضوع تاني أحسن.

- اللي يريحك، قُل لي بقى، چايدا أخبارها إيه؟

- أول لما جت البيت مع بابا كانت بتعيط وبتصرخ بطريقة فظيعة، بس أول لما شافتني هديت وبقت حالتها النفسية أحسن.

- الحمد لله، ممكن أكلمها؟

- دلوقتي صعب، لأنها أخدت الدوا ونامت، وأنا نايمة جنبها عشان لو احتاجت أي حاجة.

- خلي بالك منها وخلي بالك إنتِ كمان من نفسك.

- حاضر، سلام يا هشام.

- سلام.

بعد انتهاء المكالمة، شمَّر «هشام» قميصه استعدادًا لبدء حملة نظافة موسعة

بالشقة، قائلًا:

- استعنا على الشقا بالله.

العمل الشاق والإرهاق والتعب الناتج عن ساعات العمل الطويلة التي قضاها «هشام» في تنظيف وترتيب منزله، كل هذه الأشياء دفعته إلى النوم فلم يتنظر حتى أن يذهب إلى غرفة نومه، حيث سريره الناعم المريح، وارتمى بجسده على أريكة الصالون الكبيرة ليغوص بعدها في نوم عميق.

في الصباح، وتحديدًا عند الساعة العاشرة صباحًا، بدأ هاتف «هشام» المحمول في الرَّن، لكن الإرهاق والتعب وحاجة «هشام» إلى النوم منعوه من الرد في بداية الأمر، ومع كثرة الرنات وتكرارها، وجد «هشام» نفسه مجبرًا على الرد على هاتفه، فمدَّ يده إلى المنضدة الصغيرة التي بجواره وأمسك هاتفه المحمول وردَّ وهو يتثاءب قائلًا:

- ألو!

رد «شريف» وقال:

- إنتَ لسه نايم يا هشام؟!

- أيوه، فيه حاجة يا شريف؟

- كنت عايزك في موضوع مهم.

- موضوع إيه يا شريف.

- مش هينفع أقول لك في التليفون، لازم أقابلك.

- طيب يا شريف، ساعة بالضبط وهكون عندك.

- بقول لك موضوع مهم، تقول لي قدامك ساعة وتقابلني؟!

- أُمال إنتَ عايز إيه؟

- نص ساعة بالضبط وألاقيك قدام قسم شرطة التجمع الخامس، متتأخرش، سلام.

*****

الأسد العجوز لا يستنفد قواه في الركض وراء فريسة قوية وعنيدة، وإنما يصبر عليها ويراقبها من بعيد وينتظر تعرضها لأي كبوة، ثم ينتظر حتى تضعف وتهون، ثم ينتظر أكثر حتى تنعدم رغبة الفريسة في الحياة وتأتيه راكعة طالبة منه الإجهاز عليها وإنهاء معاناتها مع الحياة، البعض يرى أن هذه الطريقة في الصيد ليست ممتعة، ولكن الخبير في الحياة يعرف أن متعة الصيد تكمُن في الصبر لا في المطاردة، وأنه كلما طال عمر الضحية نضجَت أكثر، وكلما نضجت قلَّت رغبتها في الحياة، فالثمار الناضجة لا تهوى البقاء على الشجر، وسقوطها أفضل لها من بقائها وسط ثمار غير ناضجة.

«عاصم الدسوقي» كان هو المثال الحي للأسد العجوز، فقد استطاع أن يتغلب على جميع مشاكله وأن يقهر جميع خصومه بالصبر، فمنذ عصيان «دينا» لوالدها وزواجها من «عصام المليجي» نشأت عداوة وكراهية شديدة بين «عاصم» وزوج ابنته، لكن السنوات والأيام أنصفَت «عاصم» أخيرًا وجعلته يتخلص من «عصام»، ليس هذا وحسب، بل إن وجود «عاصم» كوَاصٍ على «چايدا» سيمنحه حرية التصرف في ميراثها من والدها، وبالتالي ستُحَل جميع مشاكله المالية التي كان يعاني منها الفترة الماضية، وسيتمكن من التوسع في نشاطاته وأعماله التجارية أكثر من أي وقت مضى.

داخل قصر «عاصم الدسوقي»، كان «حسام» يجلس على طاولة الطعام في انتظار نزول والده وتناول وجبة الإفطار معًا، ما إن انتهى «عاصم الدسوقي» من ارتداء بدلته ووضع عطره المفضل نزل على الدرج بزهُوٍّ وتعالٍ وكأنه ملِك أو إمبراطور من العصور الوسطى، ظل «عاصم» ينزل على الدرج حتى وصل إلى طاولة الطعام فجلس على مقعده، تحدث «حسام» إليه قائلًا:

- صباح الخير يا بابا.

وضع «عاصم» فوطة صغيرة على قدمه ثم رد قائلًا:

- صباح النور يا حسام، وصلت سارة وچايدا.

- أيوه يا بابا، صحيت من بدري ووصلت سارة على شغلها وودیت چايدا على مدرستها، وقُلت أستنى حضرتك عشان أفطر معاك ونروح الشركة سوا.

أخذ «عاصم» رشفة من القهوة ثم قال:

- إنتَ هتروح البنك الأول علشان تلغي موضوع القرض اللي احنا كنا طالبينه، وبعدين هتطلع على المطار تستقبل رجال الأعمال الصينيين وتجيبهم وتيجي لي على الشركة.

- تمام، وحضرتك هتطلع على الشركة على طول ولا هتروح في حتة الأول؟

- لأ، أنا عندي مشوار كده هعمله الأول، وبعدين هعدي على المحامي أشوفه عمل إيه في إجراءات الميراث بتاع چايدا، أنا عايزه يخلص موضوع الوصاية ده بأسرع ما يمكن.

نهض «حسام» من على الكرسي وتحدث قائلًا:

- هقوم أنا بقى علشان ألحق أخلص الحاجات اللي حضرتك قُلت لي عليها.

- ابقى كلم أختك وخليها بعد لما تخلص شغلها تبقى تعدي تجيب چايدا معاها من المدرسة، لأننا هنبقى مشغولين قوي النهارده، ومش هنفضى لهم خالص.

- حاضر يا بابا، أي أوامر تانية؟

- لأ، روح إنتَ عشان تلحق تنفذ الحاجات اللي قُلت لك عليها.

انصرف «حسام» في حين ظل الأسد العجوز جالسًا في مكانه يشرب قهوته بتَأنٍّ في انتظار وقوع فريسة جديدة بين أنيابه.

*****

فقدان العائلة والأيام السيئة التي عاشتها «چايدا» خلال الفترة الماضية أثر بالسلب على حالتها النفسية وجعلها تغوص في وحدتها وعزلتها أكثر وأكثر، فداخل الفصل الدراسي الذي تدرس فيه، كانت «چايدا» تجلس هائمة تُشخبِط في كراستها وترسم أشياءَ غير مفهومة، هنا لاحظت المُدرِّسة أن «چايدا» غير منتبِهة إلى الشرح فنادت عليها، ولكن حالة التيه وعدم الانتباه التي كانت عليها «چايدا» جعلتها لا ترد على مُدرِّستها من أول مرة، فنادتها مرة أخرى بصوتٍ عالٍ وقوي قائلة:

- چايدا، إنتِ يا بنت، ردي عليَّ!

هذه المرة سمعت «چايدا» كلمات المُدرِّسة، فوقفت وردت قائلة:

- أيوه يا ميس!

- إنتِ مردتيش عليَّ أول لما ناديت عليكِ ليه؟

- آسفة يا ميس، مسمعتش حضرتك!

- مسمعتنيش علشان إنتِ قاعدة سرحانة ومش مركزة في الحصة.

- لا يا ميس، أنا مركزة في الحصة.

- كده! طب قولي لي، أنا كنت بقول إيه؟

لم تستطع «چايدا» الرد لأنها بالفعل كانت غير منتبهة لما كانت تقوله المُدرِّسة، فاقتربتَ المُدرِّسة منها وقالت لها:

- مش قُلت لك إنك مكونتيش مركزة معايا!

ثم أمسكت المُدرِّسة بالكراسة التي أمام «چايدا» وقطعتها ورمتها على الأرض قائلة:

- تاني مرة، لما أكون بشرح تركزي معايا وتبطلي رسم في الكراسة، مفهوم؟

- مفهوم يا ميس.

- اقعدي وركزي معايا لأني هسألك تاني، ولو معرفتيش تجاوبي المرة دي هتضِّربي على إيدك.

جلست «چايدا» على مقعدها ونظرات السخرية تحاصرها من زملائها الذين كانوا يضحكون على ما تعرضت له من تأنيب وتوبيخ من قِبَل المُدرِّسة، فصارت «چايدا» في نظر زملائها مثالًا على الطالبة فاشلة التي دائمًا ما تتعرض إلى الإهانة والتوبيخ.

*****

الطبع يغلب التطبع، من شبَّ على شيء شاب عليه، العادة دائمًا ما تغلب التعوُّد، كلها عبارات تحمل معنى واحد، ألا وهو أن بعض العادات والصفات المزمنة لشخص ما لا تتغير ولا تتبدل وتظل عالقة في شخصية صاحبها إلى أبعد مدى،

هذه الكلمات تنطبق على «هشام» الذي يُدمن التأخُّر ويعشق عدم الالتزام بالمواعيد والوصول دائمًا متأخرًا عن مواعيده، فَبعد ساعة كاملة، وصل «هشام» إلى قسم شرطة التجمع الخامس حيث كان «شريف» ينتظره أمام القسم، نزل «هشام» من سيارته وتوجه إلى «شريف» وقال:

- أديني جيت لك أهو، عايزني في إيه بقى؟

تحدث «شريف» وهو يعضُّ على شفتيه من الغيظ قائلًا:

- إنتَ يا ابني مش هتبطل تتأخر عن مواعيدك؟! مفيش مرة أديك فيها معاد وتيجي في معادك مضبوط!

خلع «هشام» نظارته الشمسية ووضع يده على كتف «شريف» وقال:

- أنا عمري في حياتي قُلت لك على معاد وجيت فيه؟

- لأ، طول عمرك بتتأخر عليَّ.

- خلاص بقى، زعلان ليه؟!

- تصدق إنك عيل رخم! وأنا غلطان إني بهتم بيك وبمصلحتك.

- هههههه، خلاص بقى متزعلش، ده إنتَ حبيبي، قُل لي بقى، عايزني في إيه؟

- تعالى ورايا وإنتَ تعرف كل حاجة.

- آجي وراك على فين؟

- جوه القسم.

- طب فهمني بس، هنعمل إيه في القسم؟

- تعالى إنتَ بس ورايا وهتعرف كل حاجة.

دخل «هشام» و«شريف» إلى قسم الشرطة وظلَّا يسيران في طرقاته حتى وصلا إلى مكتب رئيس المباحث فدخلوا إلى الغرفة، حيث قام المقدم «إيهاب الشيخ» بتحية صديقه «شريف» قائلًا:

- ازيك يا شريف؟ أخبارك إيه؟

- الحمد لله.

أشار «شريف» باتجاه «هشام» وقال:

- ده بقى هشام ابن عمتي.

مدَّ المقدم «إيهاب» يده لمصافحة «هشام» قائلًا:

- أهلًا بيك يا أستاذ هشام، اتفضلوا اقعدوا.

بعدما جلس «شريف» و«هشام»، تحدث المقدم «إيهاب» إليهما وقال:

- قبل أي حاجة، تحبوا تشربوا إيه؟

رد «شريف» وقال:

- ملوش لزوم يا «إيهاب»، خيرك سابق.

تبسم «إيهاب» وقال:

- خيري سابق عليك إنتَ، إنما قريبك أول مرة يزورني في مكتبي، وميصحش إني معملش معاه واجب الضيافة.

رد «هشام» وقال:

- واجبك وصل يا «إيهاب» باشا، خلينا نتكلم في المهم أحسن.

- اللي يريحك يا أستاذ هشام، طبعًا شريف قال لك إن أنا الضابط المسئول عن قضية أخوك عصام، وإن الظواهر الأولية بتشير إلى إن حادث وفاة أخوك وزوجته وابنهم هو حادث جنائي، وده معناه إن الحريق تم بفعل فاعل، يعني فيه مجرم أو قاتل هو اللي ارتكب الجريمة البشعة دي.

تحدث «هشام» وقال:

- وحضرتك وصلت للجاني أو المجرم اللي عمل الجريمة دي؟

شبك «إيهاب» أصابعه وعاد بظهره إلى الخلف، ثم ردَّ قائلًا:

- لغاية دلوقتي لأ، بس احنا بنحاول، وإن شاء الله هنوصل للجاني في أسرع وقت.

- كلام حضرتك مفيهوش جديد، وبصراحة كده أنا كنت منتظر أسمع منك كلام أهم من ده!

- وإنتَ كنت منتظر مني أقول لك إيه بالضبط يا أستاذ هشام؟!

- كنت منتظر إنك تقول لي إنكوا وصلتوا للمجرم اللي قتل أخويا، إنما كلام سعادتك مفيهوش أي حاجة مفيدة ليَّ، وميطفيش نار واحد بيدور على حق أخوه.

شعر «شريف» بأنه يوجد حالة من التوتر أصبحت تُسيطِر على المحادثة الدائرة بين «هشام» والمقدم «إيهاب»، فحاول التدخل وتهدئة الموقف، حيث نظر إلى «هشام» وقال:

- اهدا يا هشام! «إيهاب» بيحاول يساعدنا، وبخلاف كده «إيهاب» ضابط كُفء، وأنا متأكد إنه هيوصل للجاني قريب جدًا.

نظر «إيهاب» إلى «شريف» وقال:

- قريبك معاه حق في كلامه يا شريف، الكلام اللي أنا قلتهوله قبل كده مفيهوش جديد.

ثم توجه بنظره إلى «هشام» وقال:

- أنا هقول لك الجديد يا أستاذ هشام، امبارح جت لنا إخبارية بوجود جثة لسيدة في منتصف الثلاثينات من العمر، وجدوها غرقانة في حمام بيتها!

تحدث «شريف» وقال:

- وإيه علاقة الحادثة دي بقضية أخويا عصام؟

- العلاقة إن السيدة دي اسمها مها العاصي، وبتشتغل مُدرِّسة رسم في مدرسة چايدا بنت أخوك عصام.

- أنا برضه مش فاهم! إيه علاقة الكلام ده بقضية قتل أخويا ومراته؟!

أخرج «إيهاب» رسمة من مكتبه وأعطاها إلى «هشام» وقال:

- العلاقة إننا لاقينا في مسرح الجريمة أو بيت القتيلة رسمة لبنت أخوك چايدا،

مرسوم فيها أخوك ومراته وابنهم الصغير بشكل بشع، وفي ظهر الرسمة مكتوب كلام مش مفهوم، بصفتك عم چايدا، تفتكر الرسمة دي معناها إيه؟

نظر «هشام» إلى الرسمة وراح يتفحصها من كل الجهات، ثم رد قائلًا:

- مش عارف بصراحة!

- طب والكلام اللي مكتوب ورا، تفسَّره بإيه؟

- التفسير الوحيد بالنسبة لي هو إن الأطفال خيالهم واسع، وممكن تكون چايدا سمعت الكلام ده أو حتى شافته في التلفزيون ونقلته.

- تمام، على العموم أنا اتشرفت بمقابلتك يا أستاذ هشام، وأتمنى إنك متكونش زعلان مني.

نهض «هشام» من على الكرسي وحيَّا «إيهاب» قائلًا:

- أنا اللي بعتذر لك لو كنت اتعصبت أو قُلت كلام يضايقك، بس أكيد حضرتك مقدَّر الظروف اللي أنا بمُر بيها.

- أنا مقدر الظروف اللي إنتَ فيها، بس يا ريت لو عرفت أي شيء جديد بخصوص الرسمة دي يا ريت تبلغني.

- إن شاء الله.

غادر «هشام» و«شريف» مكتب المقدم «إيهاب» وسارا في طرقات القسم حتى خرجا منه، ثم توجها إلى سيارة «هشام»، حيث فتح «هشام» باب سيارته، وقبل أن يدخل إليها فوجئ بـ«شريف» يُغلِق باب السيارة ويتحدث إليه قائلًا:

- أنا عايز أتكلم معاك شوية يا هشام.

- عارف إنتَ هتقول إيه، مكانش ينفع إني أتعصَّب على صاحبك ولا أكلمه بأسلوب مش كويس، وأنا اعتذرت له، عايزني أعمل له إيه تاني؟!

- أنا مش بكلمك على اللي إنتَ عملته مع إيهاب، هو في الأول وفي الآخر صاحبي ولا يمكن يزعل مني، أنا عايز أتكلم معاك عن چايدا.

- مالها؟

- فيه حاجات غريبة أنا ملاحظها في چايدا بس مكونتش عايز أتكلم فيها، بس موضوع الرسمة دي خلا دماغي تودِّيني لمنطقة تانية خالص!

- إنتَ تقصد إيه بالضبط يا شريف؟!

- يعنى حريقة كبيرة تحصل في الفيلا بتاعة أخوك، والنار تاكل كل حاجة في الفيلا، وكل الناس اللي كانوا فيها يتفحموا، وچايدا هي الوحيدة اللي تنجو من الحادثة دي، فده شيء غريب! والأغرب منه، إنها تخرج من الحريق سليمة، وكل الإصابات اللي فيها عبارة عن حروق سطحية! كمان موضوع الرسمة والكلام اللي مكتوب فيها، كل الحاجات دي بتخليني أقول إن فيه حاجة غريبة في چايدا!

- وضَّح يا شريف إنتَ عايز تقول إيه، لأن أنا دماغي مش فايقة للألغاز بتاعتك دي.

- چايدا ممسوسة يا هشام!

- يعنى إيه ممسوسة؟

- مش عارف يعنى إيه ممسوسة؟! يعني عليها جن!

تبسم «هشام» وقال:

- إيه التخاريف اللي إنتَ بتقولها دي يا شريف؟! جن إيه وعفاريت إيه بس؟! إنتَ راجل متعلم، سيب الكلام ده للناس الجاهلة.

- يا هشام صدقني، چايدا مش طبيعية!

- أي حد في مكانها مش هيبقى طبيعي، بنت صغيرة أبوها وأمها وأخوها الصغير يموتوا بالطريقة البشعة دي وعايزها تبقى طبيعية، طب ازاي؟! أنهي منطق يقول كده؟!

- على العموم يا هشام، أنا قُلت لك وجهة نظري، وعشان أريَّح ضميري، أنا أعرف واحد دكتور وبروفيسور في مجال السحر والجن، ممكن نروح له ونعرف منه إذا كانت چايدا ممسوسة ولا لأ.

تبسم «هشام» ودخل إلى سيارته وقال:

- إنتَ عايزني على آخر الزمن أروح لدجالين ومشعوذين؟! إنتَ شكلك كده عقلك فوِّت!

- عقلي فوِّت! شكرًا يا عم هشام، الحق عليَّ إني بحاول أساعدك.

- هههههه، متبقاش قمَّاص بقى، اركب عشان أوصَّلك.

- لا امشِ إنتَ، أنا عندي كذا مشوار هخلصهم وبعدين أروح على البيت.

- هشوفك بالليل؟

- مش عارف، لو فضيت هكلمك.

بعدها أدار «هشام» محرك سيارته وغادر المكان وهو يفكر في إمكانية أن تكون وجهة نظر «شريف» في تصرفات وأفعال «چايدا» صحيحة، وقتها ستكون مسئوليته أكبر، وسيتحتم عليه إنقاذ ابنة أخيه من قوى خفية قد تدمر حياتها وتقودها إلى مصير مجهول النهاية.

*****

كانت «سارة» تعلم جيدًا أن وجودها بالقرب من «چايدا» سيُقوِّي العلاقة بينهما، وسيُحسِّن من الحالة النفسية والمزاجية لـ«چايدا» وسيساعدها على الخروج من حالة العزلة والوحدة التي عانت منها مؤخرًا، لذا جمعت «سارة» أوراقها وذهبت لمقابلة مديرة المدرسة التي تدرُس فيها «چايدا»، وذلك بقصد إيجاد فرصة عمل بالمدرسة لتكون قريبة من «چايدا».

داخل مكتب مديرة المدرسة، وضعت مديرة المدرسة نظارة القراءة على عينيها وبدأت في قراءة وتصفُّح السيرة الذاتية لـ«سارة» والشهادات التي تحملها، ثم خلعت النظارة وتحدثت إلى «سارة» قائلة:

- إنتِ خريجة آداب قسم علم نفس بتقدير امتياز، ومعاكِ دكتوراه في علم النفس الاجتماعي، وبتشتغلي دكتورة في جامعة عين شمس، وجاية طالبة تشتغلي أخصائية اجتماعية عندي في المدرسة؟!

- مضبوط.

- بصراحة أنا مستغربة، ازاي واحدة في مكانتك العلمية تسيب طلابها وتنزل من درجة دكتورة في جامعة لأخصائية اجتماعية في مدرسة ابتدائي؟!

- أنا هوضح لحضرتك، أنا أبقى خالة الطالبة چايدا عصام المليجي، اللي والدها ووالدتها اتوفوا من فترة، وأنا عايزة أشتغل هنا علشان أكون قريبة من چايدا، خاصةً بعد الظروف الصعبة اللي مرت بيها الفترة اللي فاتت.

- للدرجة دي بتحبيها ومستعدة تضحي بمستقبلك المهني والعلمي علشان خاطرها؟!

- أنا مش هخبي عليك، أنا للأسف عندي مشكلة في الإنجاب، وچايدا دلوقتي تعتبر هي كل حياتي، ومستعدة أضحي علشانها بأغلى حاجة عندي.

- أنا مقدَّرة موقفك وبحيِّيك عليه، وإن شاء الله هحاول أوفر لك فرصة عمل هنا في المدرسة، بحيث تكوني قريبة من چايدا وتراعيها بنفسك، خصوصًا وإن الفترة اللي فاتت چايدا كان مستواها التعليمي منخفض جدًا، وكمان علاقتها بزملائها ومدرسينها بقت مش مضبوطة، وبقت دايمًا في عزلة عن أصحابها، ويمكن يكون وجودك وعملك هنا سبب في إن حالتها النفسية تتحسن وترجع چايدا لطبيعتها.

نهضت «سارة» من مكانها وحيَّت مديرة المدرسة قائلة:

- أنا متشكرة ليك يا فندم، وأوعد حضرتك إني هأبذل كل جهدي عشان أخلي چايدا ترجع زي ما كانت وأحسن كمان.

*****

بعدما نالت قدرًا لا بأس به من التوبيخ والتأنيب، فضَّلت «چايدا» قضاء فُسحَتها داخل الفصل بعيدًا عن صخب وحركة زملائها، حيث جلست على «الديسك» الخاص بها وحيدةً تُشخبط بقلمها عليه، لكن زميلاتها المشاغبات لم تتركنها تنعَم بهذه العزلة، حيث دخلَت مجموعة من البنات إلى الفصل وبدأن في مُعايَرة «چايدا» ونعتها بالفاشلة، لم تلتفت «چايدا» إليهم وظلت ترسم وتشخبط على «الديسك»، فأخذت إحدى البنات القلم منها وتحدثت إليها وهي تمضغ علكة قائلة:

- البنات الفاشلين مش محتاجين أقلام يكتبوا بيها، لأن الميس دايمًا بتضربهم.

سخرية زميلة «چايدا» منها انتقلت إلى بقية التلميذات، حيث ضحكنَ على «چايدا» وبدأن يُعايرنها وينعَتنَها بالفاشلة، هنا نظرت «چايدا» إلى زمَيلتها التي أخذت منها القلم وقَالت لها:

- ممكن ترجعي لي القلم بتاعي؟

- لأ، مش هرجع لك القلم، لأنك فاشلة!

- خلاص خليه معاكِ، هو أصلًا مش هينفعك لما تموتي.

بتعجُّب شديد تحدثت زميلة «چايدا» قائلة:

- إنتِ بتقولي إيه؟!

في هذا الوقت، تغيرت ملامح «چايدا» وابتسمت ابتسامةً شريرة وقالت:

- بقول إنك هتموتِ دلوقتي!

أثار هذا الرد غضب الفتاة وحاولت أن ترد على «چايدا»، لكنها فوجِئَت بالعلكة تقف في حلقها وتمنعها عن التنفس، فحاولت بكل جهدها أن تلفظ العلكة من فمها حتى تتمكن من التنفس، لكنها فشلت وسقطت على الأرض دون حراك!

سادت حالة من الفزع والخوف بين الفتيات، وجرين إلى خارج الفصل وهُنَّ يصرخن ويبكين، أما «چايدا» فاقتربت من جثة زميلتها وانتزعت القلم من يدها ثم عادت إلى الجلوس في مكانها ومواصلة الرسم والشخبطة على «الديسك».

*****

الفصل الرابع

مع حلول المساء، وجد «هشام» نفسه مجبرًا على المكوث في منزله بسبب حالة الطقس السيئة والأمطار، بالإضافة إلى إصابته بنزلة برد، كل هذه الأشياء دفعته إلى البقاء في المنزل وعدم مغادرته.

على الأريكة الكبيرة، جلس «هشام» وإلى جواره كلبته «بوو»، وفي يده اليمنى «مج» به مشروب النعناع بالليمون الساخن، والذي يساعد كثيرًا في علاج نزلات البرد.

كان «هشام» يشاهد فيلمًا من أفلام الكرتون كعادته، فعلى الرغم من كبر سنه، فإنه لم يزل يهوَى مشاهدة أفلام الكرتون، أو «الأنيميشن» كما يُلقِّبها البعض، وتعتبر القنوات الخاصة بالأطفال هي القنوات المفضلة لديه في التلفاز.

في تلك الأثناء، رن هاتف «هشام» المحمول، فوضع من يده كوب النعناع بالليمون على المنضدة التي أمامه، والتقط من على نفس المنضدة هاتفه وردَّ قائلًا:

- أنا مش مصدق نفسي! سارة بنت عاصم باشا الدسوقي بنفسها بتتصل بيَّ، إيه الكرم والتواضع ده كله؟!

- عشان تعرف بس إننا عائلة متواضعة، ولا إنتَ شايف حاجة تانية؟!

- عايزة الحق؟ أنا مش شايف أي حاجة أصلًا!

- ليه؟ مالك؟

- بعيد عنك عندي دور برد مخليني مش شايف قدامي.

- ألف سلامة عليك، أخدت علاج؟

- أخدت برشام، بس مش عامل أي حاجة.

- لو برشام كويس هيجيب نتيجة كويسة، بس إنتَ اصبُر، أهم حاجة تشرب حاجات سخنة كتير وتدفي نفسك كويس.

- هو أنا بعمل حاجة غير شرب الحاجات السخنة، ده أنا حتى قاعد بتفرج على التلفزيون ومتكلفت في بطانيتين وبرضه سقعان!

- بتتفرج على فيلم كرتون برضه؟

- أكيد طبعًا! إنتِ عارفة إني مدمن أفلام الكرتون، عادة منيلة بس أعمل إيه، مش عارف أبطلها.

- هههههه، وتبطلها ليه، على فكرة دي حاجة حلوة مش وحشة، وفيه دراسات في علم النفس بتقول إن الأشخاص اللي سنهم كبير وبيحبوا يتفرجوا على الكرتون أو الأنيميشن أو برامج الأطفال عمومًا، بيكونوا ناس طيبين جدًا ومسالمين إلى أبعد حد وقلبهم صافي ونقي.

- روحي يا شيخة إلهي يطمن قلبك ويرزقك بعريس يكون بيحب أفلام الكرتون!

- هههههه، إنتَ ناقص تقول كمان إن اسمه هشام المليجي!

- يا ريت! يكون من بختك ومن نصيبِك، ده واد طيب وجدع قوي، وكمان بيموت فيكِ، أنا أصلي أعرفه كويس.

- على العموم، لما يخف نبقى نتكلم في الموضوع ده، أنا كنت عايزة أقابلك ضروري يا هشام.

- خير يا سارة، في إيه؟

- لما أقابلك هقول لك.

- اوعي يكون چايدا حصلها حاجة!

- چايدا لحد دلوقتي كويسة، بس لو حالتها النفسية فضلت بالشكل ده، چايدا مش هتبقى بخير.

- أنا مش فاهم حاجة، ممكن توضحي إنتِ قصدك إيه بالضبط؟

- الشرح مش هينفع في التليفون، لازم أقابلك علشان أقدر أشرح لك كل حاجة.

- أنا بكرة هروح شركة أخويا عصام، لأني من ساعة ما رجعت وأنا مروحتش هناك،

ولو الشركة فضلت كده من غير رئيس، أكيد هتخرَب، لو يناسبك أقابلك في الشركة بعد الظهر.

- خلاص، بكرة إن شاء الله بعد الظهر هكون عندك في الشركة، باي.

بعدما انتهت المكالمة، عاد «هشام» بظهره إلى الخلف ووضع يده اليمنى خلف رأسه وراح يُملِّس بيده اليسرى على كلبته «بوو» ومشاعر الفرح والقلق تختلط بداخله، فهو سعيد بالطبع لأنه سيقابل في الغد حب عمره «سارة»، ولكنه في الوقت نفسه يشعر بالقلق على «چايدا»، فحديث «سارة» معه عن حالة «چايدا» النفسية جعله يشعر بالخوف والقلق عليها أكثر من أي وقت مضى، وهنا وجدَ «هشام» أن الحل الأمثل لحالته يكمُن في إغلاق التلفاز والذهاب إلى غرفة نومه، ففي الغد سيتضح كل شيء أمامه.

*****

في الصباح، وكعادته اليومية التي لا تتغير، ارتدى «عاصم الدسوقي» إحدى بذلاته الفاخرة، والتي تدل على مدى الشياكة والأناقة التي يتمتع بها، ثم نزل على الدرج حاملًا معه حقيبة «سامسونايت» سوداء بها أوراق خاصة بالعمل، وقبل أن يُغادر مع ابنه «حسام» الفيلا، فوجئ بابنته «سارة» تنادي عليه من أعلى الدرج قائلة:

- ممكن تستنى لحظة يا بابا؟

أعطى «عاصم الدسوقي» الحقيبة إلى «حسام» وقال له:

- خد الشنطة واسبقني على العربية عبال ما أشوف أختك عايزة إيه.

أخذ «حسام» الحقيبة وانصرف، في حينٍ ظل «عاصم» واقفًا في مكانه حتى نزلت «سارة» إليه، عندها تحدث «عاصم» قائلًا:

- خير يا سارة، عايزة إيه؟

- كنت عايزة أتكلم مع حضرتك في موضوع مهم.

- والموضوع المهم ده مينفعش يتأجل لغاية لما أرجع من الشغل؟

- لا يا بابا، مينفعش.

- طيب قولي، بس بسرعة لأني مستعجل.

- الموضوع اللي أنا عايزة أكلمك فيه يخص چايدا.

- مالها چايدا؟ اتكلمي!

- چايدا حالتها النفسية بتسوء كل يوم عن اللي قبله، ولو فضلت على الحالة دي ممكن تموت.

- المفروض إنك معاكِ دكتوراه في علم النفس، يعني خبيرة في علاج الحالات النفسية، ولو چايدا زيَ ما بتقولي حالتها النفسية وحشة يبقى إنتِ مقصرة في دورك ومتستحقيش إنك تكوني مسئولة عن تربيتها!

- أنا مقصرتش في حق چايدا، بالعكس، أنا عملت كل مجهودي في إني أعالجها وأخرَّجها من حالة العزلة اللي هي فيها، لدرجة إني قدمت استقالة من الشغل بتاعي وطلبت أتعين أخصائية اجتماعية في مدرسة چايدا عشان أكون جنبها، بس للأسف كل ده مكانش كفاية، حالة چايدا النفسية لسه زي ما هي، وكل ما الوقت بيعدي حالتها بتسوء أكتر وأكتر.

- طالما زي ما إنتِ بتقولي كده، بذلتِ كل مجهودك مع چايدا وبرضه مفيش فايدة، يبقى مفيشَ قدامي غير إني أعرضَها على أحسن دكاترة أمراض نفسية في البلد أو حتى أسفَّرها تتعالج بره.

- صدقني يا بابا، الحل لا هو عند أحسن دكاترة أمراض نفسية في البلد، ولا هو في السفر بره، ولا فيَّ أنا كمان!

- أُمال الحل في مين أن شاء الله؟!

- الحل عند عمها هشام.

- إنتِ بتقولي إيه؟!

- بقول إن الحل الوحيد عشان چايدا تخرج من الحالة اللي هي فيها، إنها تروح تعيش مع عمها هشام.

- إنتِ شكلك اتجننتِ يا سارة! يعني أنا بعد ما عملت مشكلة مع هشام، ورفضت

إن چايدا تروح تعيش معاه، آجي دلوقتي وأروح أقول له والنبي خُد چايدا تعيش معاك لأن أنا مش عارف أرعاها؟! انسي الموضوع ده يا سارة، أنا مستحيل أعمل كده!

- يا بابا افهمني، أنا بنام كل يوم جنب چايدا وبسمعها كل يوم في أحلامها بتنادي على عمها هشام، فلو سمحت لو إنتَ بتحب چايدا حقيقي، خليها تروح تعيش مع هشام، أرجوك!

- ماشي يا سارة، بس يكون في علمك، لو البنت حالتها سائت أكتر أو حصلها أي حاجة وحشة، أنا مش هرحم هشام، ولا هرحمك إنتِ كمان!

ثم غادر «عاصم الدسوقي» القصر وترك «سارة» واقفة في مكانها تُمنِّي النفس بأن يكون «هشام» حقًا هو العلاج المناسب لحالة «چايدا».

*****

جريمة جديدة ولغز جديد وحيرة تزداد أكثر وأكثر مع مرور الوقت، فالبداية كانت مع حريق التهم فيلا «عصام المليجي» وجميع أفراد عائلته عدا «چايدا»، ثم تبعه العثور على جثة «مها العاصي» مقتولة داخل شقتها، وأخيرًا طفلة صغيرة تموت بسبب علكة وقفت في حلقها ومنعتها عن التنفس، جرائم غريبة وجانٍ لا يترُك أثرًا خلفه، وكأنه سراب يظهر ليقتل ثم يختفي في لمح البصر، كيف يفعل هذا؟ وما الدافع وراء ارتكابه لكل تلك الجرائم؟ كل هذه الأسئلة والأفكار كانت تدور في عقل المقدم «إيهاب الشيخ».

داخل مكتبه، جلس المقدم «إيهاب الشيخ» يفكر ويتفحص ملفات تلك القضايا الغامضة على أمل الوصل إلى مُرتكب تلك الحوادث قبل ارتكابه جريمةً أخرى ووقوع المزيد من الضحايا، في تلكَ الأثناء، دخل الرائد «أيمن صلاح» إلى غرفة المقدم «إيهاب» وهو يحمل بعض الملفات، ثم تحدث قائلًا:

- تمام يا فندم، الملفات اللي سعادتك طلبتها.

أمسك المقدم «إيهاب» الملفات وألقى نظرة سريعة عليها ثم قال:

- الله ينور عليك يا أيمن، اقعد بقى علشان عايز أتكلم معاك شوية.

جلس «أيمن» ثم تحدث قائلًا:

- تحت أمرك يا إيهاب باشا.

شبك المقدم «إيهاب» يده ثم عاد بظهره إلى الخلف، ومن ثم تحدث قائلًا:

- ثلاث جرائم قتل لغاية دلوقتي ومش قادرين نوصل للجاني، ولا حتى لطرف خيط صغير يساعدنا في حل لغز الحوادث الغريبة دي، أنا عقلي قرب يشِت مني.

- ألف سلامة عليك يا فندم، بس أنا شايف إن الموضوع بسيط ومش محتاج لكل الحيرة دي.

- تقصد إيه؟

- أقصد إن فيه شخص واحد هو الرابط الوحيد بين الثلاث جرائم دول.

- قصدك مين بالضبط؟

- قصدي چايدا يا فندم؛ هي الوحيدة اللي تعتبر طرف مشترك في كل الجرائم دي.

- إنتَ بتهزر يا أيمن! معقول يعني بنت عندها سبع سنين، يعني لسه فاكة البامبرز من كام سنة، ترتكب كل الجرائم دي وبالدقة والاحتراف ده؟! إنتَ شكلك كده عقلك بدأ يفوِّت!

- يا فندم أنا مش قصدي چايدا ذات نفسها هي اللي ارتكبت الجرائم دي، اللي أقصد أقوله إن أكيد في حد معين قريب من چايدا هو اللي ارتكب الجرائم دي.

- كده كلامك بقى منطقي، مين بقى هو الشخص ده؟ هو ده السؤال المهم.

- والله يا فندم أنا شاكك في هشام، وعندي إحساس إن هو اللي ورا كل الجرائم دي.

- أنا كمان يا أيمن عندي نفس الإحساس، من يوم ما قابلته واتكلمت معاه وأنا حاسس إن الإنسان ده وراه شيء مش طبيعي.

- لو سعادتك تحب، نقبض عليه ونستجوبه، وبطرقنا الخاصة هنعرف ازاي نخليه يعترف.

- لأ، القبض عليه دلوقتي مش هيوصلنا لحاجة، لأن مفيش دليل ضده.

- طب والعمل يا فندم؟

- اسمع يا أيمن، من النهارده تعين مخبر مخصوص يراقب كل تحركات هشام، عايزه يفضل أربعة وعشرين ساعة تحت الميكروسكوب.

- تمام يا فندم، أي أوامر تانية؟

- لأ، اتفضل إنتَ ويوماتي تجيب لي التقرير الخاص بهشام، مفهوم يا أيمن؟

- مفهوم سعادتك.

*****

شركة بلا رئيس، تعني خسائر كبيرة وفوضى عارمة في جميع الإدارات، لذا كان على «هشام» الذهاب إلى شركة أخيه «عصام» لمتابعة سير العمل وإعادة الانضباط والالتزام إلى جميع العاملين بالشركة.

على مكتب أخيه «عصام» الفخم، جلس «هشام» يراجع ويوقع على بعض الملفات التي كانت تحتاج إلى توقيع من رئيس الشركة، وما إن انتهى «هشام» من توقيع الملفات حتى قام «عادل الخولي»، والذي يبلغ من العمر خمسين عامًا ويعمل سكرتيرًا للشركة وخادم «عصام المليجي» الأمين، بجمع الملفات والتحرك بها ناحية باب الغرفة، فتحدث «هشام» إليه قائلًا:

- استنى يا عادل، أنا عايز أتكلم معاك شوية.

التفت «عادل» وردَّ قائلًا:

- تحت أمرك يا هشام بيه.

- أنا عارف كويس يا عادل العلاقة القوية اللي كانت بينك وبين المرحوم عصام، إنتَ مكونتش بس سكرتيره، إنتَ كمان كنت صديقه المخلص وكاتم أسراره.

- الأستاذ عصام كان راجل محترم، وكان ليَّ الشرف إني اشتغلت معاه أكثر من عشر سنين، ربنا يرحمه ويجعل مثواه الجنة.

- أنا بقى عايزك تحكي لي عن الناس اللي كان ليهم علاقة بعصام، وإذا كان في ما بينه وما بين حد معين مشاكل، سواء في الشغل أو بره الشغل، يا ريت تقول لي عليها.

- والله يا هشام بيه، الأستاذ عصام كان راجل محترم جدًا، ومكانش ليه في المشاكل والصراعات بتاعة رجال الأعمال دي، ولو دخل في صفقة وحس إنها ممكن تعمل له مشاكل مع حد، كان بيلغيها على طول حتى لو كان هيكسب من وراها ملايين، الله يرحمه كان آخر همه المكسب، وأهم حاجة عنده علاقته الطيبة بالناس، عشان كده تلاقي كل الناس بتحبه وزعلانة على وفاته.

أخذ «هشام» نفسًا عميقًا ثم تحدث وقال:

- طب والفترة الأخيرة، محصلش بينه وبين أي حد مشاكل حتى لو ملهاش علاقة بالشغل؟

- لا يا هشام بيه.

- تمام، اتفضل إنتَ روح على شغلك.

مشى «عادل» نحو باب الغرفة، وقبل أن يصل إلى الباب، التفتَ وعاد إلى «هشام» مرة أخرى، فتحدث «هشام» إليه قائلًا:

- خير يا عادل، إيه اللي رجعك تاني؟

- أصلي افتكرت حاجة كده بخصوص عصام بيه الله يرحمه.

- حاجة إيه؟ اتكلم!

- قبل حادث الوفاة بحوالي أسبوعين، جِه راجل كده طويل وعريض وأصلع، شبه المصارع اللي اسمه «كازينو البرج».

- قصدك «الجولد بيرج».

- الله ينور عليك! هو ده.

- كمِّل يا عادل، عمل إيه الراجل ده؟

- الراجل ده دخل لأخوك المكتب وفضل يزعق معاه ويتخانق معاه ويشتمه بألفاظ وحشة مقدرش أقولها، أنا بصراحة خُفت الراجل ده يعمل في أخوك حاجة، وروحت على طول طلبت الأمن بتاع الشركة، وبعدين الأمن مسكوه وطلعوه بره الشركة.

- متفتكرش الراجل ده كان اسمه إيه؟

- لا والله يا هشام بيه مفتكرش، بس اللي أفتكره إن الراجل ده وهو خارج من الشركة كان عمال يقول: «لو مبعدتش عن مراتي يا عصام أنا هقتِلك وهقتلها!».

أصبح «هشام» في حيرة من أمره، وأصبحت هنالك الكثير من الأسئلة التي تدور في رأسه، مثل: هل يكون هذا الرجل بالفعل هو الجاني وهو قاتل أخيه «عصام»؟ ومَن هذا هو الرجل يا ترى؟ كل هذه الأسئلة جعلت «هشام» يضع يده على رأسه ويُتمتِم قائلًا:

- يطلع مين الراجل ده؟!

سمع «عادل» تمتمة «هشام»، ولكنه لم يفسرها جيدًا، فتحدث إلى «هشام» قائلًا:

- سعادتك بتقول حاجة؟

- لا مبقولش حاجة.

ثم نظر «هشام» إلى يمينه، فوقعت عينه على خزنة صغيرة، فتحدث إلى «عادل» قائلًا:

- مفاتيح الخزنة دي فين؟

- عصام بيه الله يرحمه كان معاه نسخة، وفيه نسخة تانية موجودة في الشئون القانونية.

- تروح دلوقتي حالًا على الشئون القانونية وتجيب منهم المفتاح وتيجي لي على طول.

- حاضر يا هشام بيه، بس في حاجة كنت عايز أقولها لك.

- في إيه تاني يا عادل؟

- في واحدة مستنية حضرتك بره بقالها فترة.

- مقالتش اسمها إيه؟

- اسمها سارة الدسوقي.

خبط «هشام» بيده على رأسه وقال:

- أنا نسيت موضوع سارة ده خالص! اسمع يا عادل، دخلها وخلي البوفيه يعمل لنا اتنين عصير ليمون، وبعدين روح للشئون القانونية وهات منهم مفاتيح الخزنة، يلا بسرعة!

خرج «عادل» ودخلت «سارة»، فقام «هشام» وصافحها وتحدث إليها قائلًا:

- أنا آسف إنك استنيتي بره فترة طويلة، بس أنا كان عندي شغل كتير قوي.

- أنا عارفة ومقدرة حجم المسئولية اللي عليك، ربنا يكون في عونك.

- اتفضلي اقعدي.

- ميرسي.

- قولي لي بقى، إيه الموضوع المهم اللي كنتِ عايزاني فيه؟ ويا ريت تطمنيني على چايدا، لأن مكالمتك امبارح معايا خلتني أَقلق عليها.

- چايدا حالتها النفسية صعبة قوي يا هشام، وكل يوم بتسوء عن اليوم اللي قبله، وأنا للأسف مش قادرة أعملها حاجة.

- إنتِ كده قلقتيني عليها!

- وهتقلق أكتر لو عرفت إن ممكن چايدا لا قدر الله تموت لو حالتها النفسية متحسنتش خلال الفترة اللي جاية.

- طب وإيه الحل؟!

- الحل في إيدك إنتَ يا هشام.

- في إيدى أنا! ازاي؟

- چايدا لازم تعيش معاك الفترة اللي جاية، أنا لاحظت إنها متعلقة بيك، من ساعة الليلة اللي قضيتها معاها في المستشفى وهي متعلقة قوي بيك، لدرجة إني بسمعها كل يوم بتنادي عليك في أحلامها، أنا عارفة إن مسئولية رعاية طفلة صغيرة في سن چايدا مش هيبقى موضوع سهل عليك، بس صدقني ده الحل الوحيد عشان الحالة النفسية لچايدا تتحسن.

- وأنا مقدرش أتاخر عن مساعدة بنت أخويا، النهارده بالليل هاجي آخد چايدا تعيش معايا، وربنا يقدرني وأكون سبب في علاجها.

نهضت «سارة» وقالت:

- أنا واثقة فيك، ومتأكدة إن چايدا معاك هتكون في أمان.

- إنتِ رايحة فين؟! أنا لسه ما قُمتش معاكِ بواجب الضيافة.

- معلش! فرصة تانية، أنا أصلي لسه مجهزتش شنط چايدا ولا الحاجات اللي هتحتاجها طول فترة إقامتها معاك.

- ماشي، بس أنا كده ليَّ عندك عزومة.

تبسمت «سارة» وقالت:

- لو چايدا حالتها اتحسنت، هيبقى ليك عندي عزومتين مش عزومة واحدة.

*****

بعد غروب الشمس، ذهب «هشام» إلى فيلا «عاصم الدسوقي» كي يأخذ چايدا للعيش معه، وبمجرد أن وصل إلى الفيلا، وجد «سارة» و«چايدا» تقفان أمام مدخل الفيلا في انتظاره، فنزل «هشام» من سيارته ووضع حقائب «چايدا» داخلها، ثم انتظر حتى تُودِّع «سارة» «چايدا»، ومن ثم ركب سيارته برفقة «چايدا» وانطلق إلى منزله.

وصل «هشام» إلى منزله، وقبل أن يفتح باب شقته نظر إلى «چايدا» وهي تحتضن دميتها المفضلة لديها، لاحظ أن الدمية التي تحتضنها «چايدا» قبيحة جدًا، فهي عبارة عن دببوبٍ وردي اللون أذنه اليمنى مقطوعة ويده اليسرى أيضًا، فتحدث «هشام» إليها قائلًا:

- الدبدوب ده شكله وحش قوي على فكرة!

رفعت «چايدا» عينيها إلى الأعلى في اتجاه «هشام»، ثم قالت:

- أنا عارفة إن شكله مش حلو، بس أنا بحبه!

- على فكرة، أنا ممكن أجيب لك واحد تاني أجمل وأكبر منه.

- أنا بحب الدبدوب بتاعي ومش عايزة غيره.

- براحتك.

ثم فتحَ «هشام» باب الشقة أمام «چايدا» قائلًا:

- اتفضلي يا سمو الأميرة، نورتِ بيتك الجديد.

دخلت «چايدا» وهي تنظر يمينًا ويسارًا تتفحص البيت الجديد الذي ستعيش فيه، وبينما هي تبعث نظراتها يمينًا ويسارًا، فإذا بها تُفاجَأ بكلبة «هشام» تجري عليها، فصرخت «چايدا» خوفًا منها وجرت لتختبئ خلف «هشام»، فأمسك بيدها وتبسم إليها ثم قال:

- متخافيش يا چايدا، دي الكلبة بتاعتي، هتحبيها قوي.

ثم نزل «هشام» على ركبته وقال لكلبته «بوو»:

- سيت (Sit).

فجلست الكلبة على الأرض، ثم قال لها:

- شيك (Shake).

فمدت الكلبة يدها للسلام، هنا نظر «هشام» إلى «چايدا» وتحدث قائلًا:

- سلمي عليها، متخافيش.

مدت «چايدا» يدها وأمسكت بيد «بوو» وراحت تسلم عليها وكأنها تسلم على صديقة قديمة لها، فعادت الابتسامة ترتسم من جديد على وجه «چايدا» بعدما غابت عنه لفترة طويلة، نهض «هشام» من على الأرض وأدخَل حقائب «چايدا»

وأغلق باب الشقة، ثم تحدث إلى «چايدا» وقال:

- روحي بقى اغسلي إيدك ووشك عبال ما أدخَّل الشنط دي في أوضتك وأحضر لك العشا.

- هو الحمام منين؟

- آخر الطُّرقة يمين، خدي بوو معاكِ.

- إنتَ مسمي الكلبة بتاعتك «بوو»؟!

- عايزة تعرفي سميتها كده ليه؟

- آه.

- هقول لك، بس بعد ما تغسلي إيدك ووشك الأول.

دخلت «چايدا» إلى الحمام وغسلت يدها ووجهها، ثم توجهت إلى المطبخ الذي صممه «هشام» على الطراز الأمريكي، بحيث يكون مفتوحًا على صالة الشقة، حضَّر «هشام» رقائق الذرة (الكورن فليكس) ووضعها على البار الذي يفصل بين المطبخ والصالة، ثم أحضر بعض الخبز ووضعه في المحمصة كي يتحمص، وفي هذه الأثناء، لاحظ «هشام» وقوف «چايدا» أمام البار تشاهد ما يفعله، فتحدث إليها قائلًا:

- الأكل بتاعك جاهز يا سمو الأميرة.

أشارت «چايدا» إلى كرسي البار وقالت:

- بس أنا صغيرة، ومش هعرف أطلع على الكرسي الطويل ده لوحدي!

- كل شيء وله حل يا سمو الأميرة.

ثم خرج «هشام» من المطبخ وحمَل «چايدا» وأجلسَها على كرسي البار، ووضع أمامها رقائق الذرة، ثم دخل إلى المطبخ مرة أخرى وفتح الثلاجة وبدأ في إخراج بعض الجبن والمربى لحشو قطع التوست بها.

وضعت «چايدا» دميتها إلى جوارها وأمسكت الملعقة وبدأت في تناول الرقائق،

وفي أثناء تناولها للطعام، تحدثت إلى «هشام» قائلة:

- مش هتقولي يا عمو هشام، إنتَ ليه سميت كلبتك «بوو»؟

تبسم «هشام» وردَّ قائلًا:

- هقول لك بس على شرط، مش عايز لا ضحك ولا تريقة، ماشي؟

- حاضر.

اقترب «هشام» من «چايدا» واستند بيده على البار ثم قال:

- سميتها كده لأني بحب أفلام الكرتون، وخصوصًا فيلم «شركة المرعبين المحدودة»، عارفاه إنتِ طبعًا، بتاع مارد وشوشني وشلبي سلوفان، أنا بقى حبيت شخصية البنت الصغيرة اللي في الفيلم، واللي كان اسمها «بوو»، عشان كده سميت الكلبة بتاعتي على اسمها.

بعدما عرفت «چايدا» سبب تسمية «هشام» كلبته بهذا الاسم، ظلت تضحك، فتحدث إليها «هشام» قائلًا:

- كده يا چايدا؟! بتضحكِ على عمو هشام! طب أنا مش هحكي لك حاجة تانية.

ردت «چايدا» وهي تضحك بشكل هستيري:

- خلاص، خلاص يا عمو هشام مش هضحك تاني.

- مش هتضحكِ إيه بس، ده إنتِ وشك بقى أحمر من كتر الضحك، أنا برضه اللي غلطان إني بحكي أسراري لطفلة!

هنا بدأ «هشام» يشم رائحة حريق، وبدأ دخان أسود يخرج من المحمصة، فعلم أن الخبز الذي وضعه فيها قد احترق، وأوقفها على الفور وبدأ ينفض الدخان بعيدًا في مشهد كوميدي جعل الابتسامة ترتسم على ملامح «چايدا» أكثر وأكثر، نظر «هشام» إلى «چايدا» وقال:

- بتضحكِ؟! أديني فضلت أتكلم معاكِ ونسيت العيش لغاية ما اتحرق، عاجبك كده؟!

تبسمت «چايدا» وقالت:

- آه.

- آه! جتك أوا، مش خلاص خلصتِ أكلِك، يلا بقى على أوضتك عشان تنامي.

- طب تعالى نزلني.

خرج «هشام» من المطبخ وأنزل «چايدا» من على الكرسي قائلًا:

- يلا بقى على أوضتك.

أشارت «چايدا» بيدها نحو البار وقالت:

- هات لي الدبدبوب بتاعي.

مد «هشام» يده وأحضر الدمية وأعطاها إياها قائلًا:

- وآدي الدبدوب بتاعك، عايزة حاجة تانية؟

- آه، ممكن توطي، عايزة أقول لك حاجة في ودنك.

انحنى «هشام» ليقترب من «چايدا» ثم قال:

- قولي يا ستي عايزة إيه.

وضعت «چايدا» قبلة صغيرة من فمها الصغير على خدِّ «هشام» وقالت له:

- تصبح على خير يا عمو هشام.

تبسم «هشام» وردَّ قائلًا:

- وإنتِ من أهل الخير يا سمو الأميرة.

*****

منتصف الليل هو ذروة النوم بالنسبة إلى الكثير من الناس، ولكن بالنسبة إلى بعض الأشخاص يعتبر هذا الميعاد هو الوقت الأنسب لبداية السهرات وعقد الصفقات، فداخل أحد الملاهي الليلية الشهيرة بِشارع الهرم، جلس «حسام الدسوقي» كعادته أمام البار يشرب كؤوس الخمر واحدةً تلو الأخرى في انتظار قدوم شخص ما لإنهاء صفقةٍ قديمة، بينما كان «حسام» يجلس على البار وحيدًا يشرب كأسًا من الخمر

ويتبعها بنفس عميق من سيجاره الكوبي الفاخر، إذا بـ«عادل الخولي» يقترب منه ويتحدث إليهِ قائلًا:

- مساء الفل يا حسام باشا.

أخذ «حسام» نفسًا عميقًا من السيجار ثم رد قائلًا:

- إيه الأخبار يا عادل؟

- مش تعزمني على حاجة الأول يا حسام بيه؟! ده أنا برضه ضيفك.

تبسم «حسام» ابتسامة خفيفة وردَّ قائلًا:

- أعزمك على حاجة! وبالنسبة للسبحة اللي في إيدك دي، إيه نظامها؟!

وضع «عادل» السبحة في جيبه ورد قائلًا:

- لا، السبحة دي الصبح بس، إنما الليل بقى فده وقت الدلع والفرفشة.

- وأنا هدلعك آخر دلع يا عادل!

ثم نظر «حسام» إلى عامل البار وتحدث إليه قائلًا:

- اعمل له كاس ويسكي وصاية على حسابي.

هنا تحدث «عادل» وقال:

- لا بلاش ويسكي وخليها بيرة أحسن، لأن الويسكي حرام.

- يعني الويسكي حرام والبيرة هي اللي مش حرام؟!

- طبعًا! البيرة بتغسل الكلى، إنما الويسكي والعياذ بالله بيدمر الكلى.

عاد «حسام» بنظره إلى عامل البار وتحدث إليه وقال:

- بلاش يا سيدي الويسكي واعمل له كاس بيرة.

رد عامل البار وقال:

- تحت أمرك يا حسام بيه.

هنا تحدث «عادل» وقال:

- ربنا يخليك لينا يا حسام باشا.

رد «حسام» وقال:

- اخلص يا عادل وقُل لي عملت إيه، لأن أنا مش فاضي لك!

- اطمن يا حسام بيه وحط في بطنك بطيخة صيفي، كل اللي سعادتك أمرت بيه أنا نفذته بالحرف الواحد.

- هشام فتح الخزنة ولا لسه.

- فتحها النهارده وأخد كل الورق والمستندات اللي فيها معاه البيت.

- حلو قوي، يعني كلها يوم أو يومين ويلاقي العقد.

- أظن أنا كده عملت اللي عليَّ يا حسام بيه وأستاهل بقية أتعابي.

- تستاهل يا عادل، بكرة الصبح تيجي الشركة عندي وتعدي على الحسابات، هتلاقي عندهم شيك باسمك.

- ربنا يخليك لينا يا حسام باشا، تسمح لي أستأذن أنا بقى؟

- وبالنسبة لكاس البيرة، هتمشي كده قبل ما تغسل كليتك؟!

تبسم «عادل» وقال:

- طالما الويسكي والبيرة طلعوا حرام، يبقى أنا أروح اشرب عصير قصب أحسن، هو ده اللي يغسل الكلى بصحيح.

بعدها، غادر «عادل» البار وظل «حسام» جالسًا في مكانه يشرب الخمر ويتبعها بنفسٍ من سيجاره الفاخر.

*****

الفصل الخامس

بعيدًا عن سهرات الليل الفاسدة وصفقاته المشبوهة، كان أحدهم يغوص في سبات عميق ينعم بأحلام رائعة لا يتمنى أن يستيقظ منها أبدًا، فعلى سريره الناعم، كان «هشام» ينام نومًا هنيئًا منعزلًا تمامًا عن عالمه الخارجي، في تلك الأثناء، شعر «هشام» بحركة غريبة وبيد صغيرة تسحب غطاء السرير من عليه، وتقوم بوخزه في كتفه، ففتح عينيه ليرى ما الذي يحدث، فإذا به يجد «چايدا» تقف أمامه برداء النوم الأبيض خاصتها وشعرها مَنْكوشٌ، وتمسك دميتها البشعة في يدها اليسرى، وتضع يدها اليمنى خلف ظهرها، فتحدث إليها قائلًا:

- إيه اللي جابك هنا يا چايدا؟

نظرت «چايدا» إلى «هشام» بأعين ناصعة البياض وكأن قزحية عينيها قد اختفت، وردت قائلة:

- أنا مش چايدا!

- أُمال إنتِ مين؟

- أنا چورا!

كان «هشام» يظن أن «چايدا» تمزح معه، فتبسم ورد قائلًا:

- وعايزة إيه مني يا ست چورا؟

اقتربت «چايدا» أكثر من «هشام» وقالت:

- عايزة أقتلك!

ثم أخرجت «چايدا» من خلف ظهرها سكينًا ووجهت عدة طعنات في رقبة «هشام»، لتندفع الدماء وتخرج من رقبته كما تخرج المياه من النافورة، حاول «هشام» وضع يده على رقبته لمنع خروج الدماء منها، لكنه لم يتمكن من إيقاف تدفق الدماء، فسقط على الأرض جثة هامدة والدماء تُحيط به من كل اتجاه.

هذا الكابوس المفزع أجبر «هشام» على الاستيقاظ من نومه وهو يأخذ أنفاسه

بصعوبة بالغة وبسرعة شديدة قائلًا:

- بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم اجعله خير!

وبمجرد أن هدأ وأصبح يتنفس بشكل طبيعي، مد يده باتجاه المنضدة التي على يساره وشغَّل الأباجورة ليُضيئ الغرفة، وما إن أضاءت الغرفة حتى وجد «هشام» باب غرفته مفتوحًا و«چايدا» تقف هناك ممسكة بدميتها القبيحة، فتحدث «هشام» إليها قائلًا:

- إيه اللي جابك هنا يا چايدا؟

ردت «چايدا» وهي تفرك عينيها من النعاس قائلة:

- عايزة أشرب.

نزل «هشام» من على السرير وارتدى شبشب المنزل ثم تحرك صوبها وأمسك يدها قائلًا:

- تعالي معايا.

ثم اصطحب «هشام» «چايدا» إلى المطبخ، وفتح الثلاجة وأخرج منها زجاجة ماء، ثم صبَّ البعض منه في كوب صغير وأعطاه إلى «چايدا» كي تشرب، وبعدما شربت الماء أعادت الكوب إليه، فتحدث قائلًا:

- عايزة حاجة تانية؟

- لأ.

وضع «هشام» قبلة على رأس «چايدا» وقال:

- يلا بقى روحي على أوضتك، تصبحي على خير.

- وإنتَ من أهله يا عمو هشام.

عادت «چايدا» إلى غرفتها للنوم، أما «هشام» فكان يعلم جيدًا أنه من الصعب عليه العودة إلى النوم في الوقت الراهن، فالكابوس المفزع الذي راوده منذ دقائق ما زال عالقًا في ذهنه رافضًا مغادرة مخيلته، فكان الحل الأنسب له في هذا الوقت

هو تحضير فنجان من القهوة يساعده على التركيز وينسيه ذلك الكابوس المفزع.

أعد «هشام» فنجان القهوة ووضعه على طاولة الطعام، ثم أحضر حقيبته «السامسونايت» وأخرج منها جميع الملفات والمستندات التي وجدها في خزنة شركة أخيه «عصام»، ثم جلس يحتسي القهوة ويتفحص هذه الملفات، في هذه الأثناء، عثر على ورقة أثارت استغرابه ودهشته وجعلته يمسك بهاتفه المحمول ويتصل بصديقه المقرب «شريف»، والذي لم يرد عليه في المرة الأولى، لكن «هشام» ظل يتصل به مرارًا وتكرارًا حتى رد «شريف» قائلًا:

- أيوة يا هشام، فيه إيه؟!

- معلش يا شريف، أنا عارف إني بكلمك في وقت مش مناسب، بس أنا كنت عايز أشوفك ضروري.

- إيه اللي حصل يا هشام؟ إنتَ قلقتني عليك وعلى چايدا، إنتوا كويسين؟

- اطمن يا شريف، أنا وچايدا بخير، بس أنا عايز أقابلك بكرة ضروري.

- بكرة هيبقى صعب بالنسبة لي يا هشام، أنا بكرة نازل مع خطيبتي عشان نشتري فستان الفرح والبدلة بتاعتي.

- معلش يا شريف، حاول تفضي نفسك ولو لنص ساعة بس، صدقني أنا محتاج أقابلك وأتكلم معاك، إنتَ عارف إني مليش صاحب غيرك ممكن أستأمنه على أسراري.

- خلاص يا هشام، بكرة بعد الظهر قابلني في المقطم.

- في نفس المكان اللي كنا بنتقابل فيه لما بنزوغ من الدروس.

- هههههه، إنتَ لسه فاكر؟!

- طبعًا، وهي الذكريات الوسخة دي ممكن تتنسي!

- هههههه، ماشي يا ابن عمتي، ممكن بقى تسيبني أكمل نوم عشان أكون بكرة فايق ومصحصح معاك.

بعد انتهاء المكالمة، أمسك «هشام» الورقة التي أثارت دهشته من جديد، وظل

يتفحصها على أمل أن يصل إلى أي شيء جديد يفيده ويكشف له غموض تلك الورقة.

*****

الأشياء لا تبقى على حالها طيلة الوقت، فشيمة الحياة التغير وعدم الثبات على حال، وروعة الحياة تكمن في أنها تلتف وتدور كما يدور هذا الكوكب الذي نحيا عليه حول الشمس، فاليوم تكون في أعلى مراتب السعادة والفرح، وغدًا تكون من البؤساء، وأقرب مثال على تغير الحياة وتبدل الأحوال يتمثل في «سعاد»، المربية السابقة لـ«چايدا»، فمنذ حادثة وفاة «عصام المليجي» وزوجته، والحياة أعطت ظهرها لـ«سعاد» وزوجها الأسطى «رضا»، حيث تدهورت الأحوال المعيشية والمالية لهذه الأسرة، وأصبحا يُكافحان ليلًا ونهارًا من أجل توفير لقمة العيش ومتطلبات الحياة اليومية.

عند السابعة صباحًا، نزلت «سعاد» من منزلها الذي يقع داخل إحدى الحارات الشعبية بمنطقة شبرا، حيث كان بصحبتها أبناؤها الثلاثة، وهم ولدان أحدهما في الصف الثالث الابتدائي والآخر في الصف الأول الابتدائي، أما ثالث الأبناء فهي طفلة صغيرة تبلغ من العمر عامين، سارت «سعاد» وهي تحمل ابنتها الصغيرة بإحدى يديها وفي اليد الأخرى تمسك ببقية أبنائها، وبمجرد أن وصلت إلى بقالة «الحاج سعيد»، بدأت «سعاد» في تسريع خطواتها حتى لا يتمكن «الحاج سعيد» صاحب البقالة من رؤيتها ومطالبتها بالحساب المتأخر عليها، وعلى الرغمٍ من امتلاء البقالة بالزبائن، فإن «سعاد» فوجئت بـ«الحاج سعيد» ينادي عليها قائلًا:

- رايحة على فين يا بت يا سعاد؟ مش تيجي تصبحي على عمك سعيد، ولا إنتِ بقيتي بتتكبري عليَّ؟!

عادت «سعاد» ومعها أبناؤها إلى بقالة «الحاج سعيد»، حيث تبسمت وقالت:

- صباح الفل عليك يا عم سعيد، يا أجدع راجل في الحارة دي كلها.

- كُلي بعقلي حلاوة يا بت! ماشية كده وبتتسحبي فاكراني عشان كِبرت ونظري ضعف مش هاخد بالي منك.

- متقولش كده، ده إنتَ الخير والبركة بتاعتنا.

- ولما أنا الخير والبركة بتاعتكم، مستخسرة تصبحي عليَّ وإنتِ ماشية ليه؟!

- إن جيت للحق يا عم سعيد، أنا مكسوفة منك، احنا داخلين على شهر جديد وأنا لسه مسددتش الفلوس القديمة اللي عليَّ.

- متقوليش كده يا بنتي، إنتِ وجوزك في مقام ولادي، واحنا في الأول والآخر جيران، والجيران لازم يقفوا جنب بعض في وقت الشدة، وده مش كلامي، ده كلام سيدنا النبي عليه أفضل الصلاة وأذكى السلام.

- عليه الصلاة والسلام، أنا مش عارفة أودي جمايلك دي كلها فين يا عم سعيد، ربنا يبارك لنا فيك ويجازيك كل خير.

- المهم قولي لي، إنتِ أخبارك إيه؟ وجوزك الأسطى رضا أخباره إيه؟ أنا بقالي فترة مش بشوفه.

- والله يا عم عبده حالتنا اليومين دول مش ولابد، من ساعة ما البيه اللي كنا شغالين عنده ما مات والحالة بقت ضنك، أنا اشتغلت فترة في حضانة، وفي الآخر طلعوا نصابين ومشُّوني وأكلوا عَليَّ الفلوس بتاعتي، ومن ساعتها وأنا بدور على أي شغلانة، ورضا شغال ليل ونهار على تاكسي عشان يقدر يكفي مصاريف العيال.

- ربنا فرجه قريب يا بنتي، وإن شاء الأحوال هتتعدل وتبقى زي الفل.

- يسمع من بُقك ربنا، متؤمرنيش بأي حاجة يا عم سعيد؟

- رايحة على فين كده؟

- هوصل الأولاد للمدرسة.

تحدث «عم سعيد» مازحًا:

- والكتكوتة الصغيرة دي كمان رايحة المدرسة!

- هههههه، الكتكوتة دي مجنناني والله يا عم سعيد، طول الوقت شقاوة وعفرتة وتكسير في الحاجات، لما بقيت حاسة إن هي اللي بتربيني مش أنا اللي بربيها.

تبسم «عم سعيد» وقال:

- الأطفال دول أحباب الله وزينة الحياة الدنيا، ربنا يخليهم لك ويبارك فيهم

ويجعلهم ذرية صالحة.

- ربنا يخليك يا عم سعيد، سلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

*****

الحياة لعبة كبيرة مليئة بالألغاز والأحاجي، ونحن مجرد تلاميذ ولاعبين يتم الزجُّ بهم في اختبارات صعبة وقاسية، وعلينا اجتيازها مهما كلفنا هذا من ثمن، وكما يُقال، الصعاب والأزمات هي ملح الحياة الذي يُضفي إليها طعمًا ونكهة، ولعبور تلك الأزمات، علينا إما أن نتحلى بالصبر وإما أن نلجأ إلى أي صديق وفِيٍّ يساعدنا في عبور تلك المِحَن.

إيمان «هشام» بأهمية دور الصديق في الحياة، خاصة عندما تشتد عليه الصعاب وتتكالب عليه الأزمات، جعله يذهب لمقابلة صديقه «شريف» حسب الموعد المحدد بينهما، ولأول مرة في حياته، يكسر «هشام» قاعدة التأخير عن المواعيد المشهور بها ويصل في موعده، فعلى سطح هضبة المقطم، وقف «هشام» أمام سيارته في انتظار قدوم صديقه «شريف»، والذي ما إن وصل إلى المكان حتى أوقف سيارته بالقرب من سيارة «هشام»، ونزل منها ثم اقترب منه وتحدث إليه قائلًا:

- خير يا عم هشام، جايبني على ملا وشي ليه؟

أخرج «هشام» ورقة من جيبه وأعطاها إلى «شريف» قائلًا:

- اقرأ الورقة دي وإنتَ تعرف.

أمسك «شريف» بالورقة وبدأ في قراءة بعض الكلمات، ثم نظر إلى «هشام» وقال:

- ده عقد جواز عرفي!

- مضبوط، انزل بقى كده لآخر الورقة واقرأ اسم العريس واسم العروسة.

نزل «شريف» بنظره إلى آخر سطر في الورقة ثم قال:

- مش معقول! العريس يبقى عصام المليجي والعروسة مها العاصي! إنتَ جبت الورقة دي منين؟!

- اتلقيتها في خزنة الشركة بتاعة عصام، ومش عارف أعمل إيه، عشان كده كلمتك.

- اسمع يا هشام، الورقة دي لازم تتسلم للبوليس، لأنها أكيد هتساعدهم في الوصول للشخص اللي قتل أخوك.

مد «هشام» يده وشدَّ الورقة من بين يدي «شريف»، ثم ثناها ووضعها في جيبه قائلًا:

- لا طبعًا يا شريف، الورقة دي مش هتتسلم للبوليس!

- ليه؟

- أولًا، لأني مش عايز أفضح أخويا، أخويا عصام مات سمعته كانت نظيفة والكل بيشهد بأخلاقه، وأنا لازم أحافظ على سمعته حتى وهو ميت، ثانيًا، أنا شاكك في صحة الورقة دي، وحاسس إن في حد قاصد يحط الورقة دي في سكتي عشان يتوهني ويبعدني عن سكة القاتل الحقيقي.

- طب والعمل؟

- مش عارف، بس اللي أنا متأكد منه، إن الورقة دي وراها لغز كبير ولازم أحله.

- كل اللي أقدر أقولهولك، خلي بالك من نفسك يا هشام، لأن الورقة دي متطمنش أبدًا!

- سيبها على الله، محسوبك جن ويفوت في الحديد.

تبسم «شريف» وقال:

- ماشي يا عم الجن، قُل لي بقى، عامل إيه مع چايدا؟

- تربية الأطفال دي طلعت حاجة صعبة فعلًا يا شريف، بس أنا بحاول أعمل اللي عليَّ، يعني النهارده الصبح جيت أصحيها عشان تروح المدرسة، قالت لي إنها تعبانة ومش عايزة تروح.

- وإنتَ عملت إيه بقى يا عم الفلحوس؟

- ولا حاجة، مودتهاش المدرسة وسيبتها تنام براحتها، وأول لما صحيت حضرت لها الفطار بتاعها وفتحت لها التلفزيون على قناة ميكي وسبتها ونزلتِ.

- هههههه، إنتَ فعلًا مثال للمربي الفاشل! البنت بتستعبط وتقول لك تعبانة ومش عايزة تروح المدرسة، تقوم إنتَ بكل سذاجة تسمع كلامها ومتوديهاش المدرسة؟! البنت لو فضلت معاك أكتر من كده هتضيع.

- طب أعمل إيه بس؟! ما أنا برضه عمري ما اتحملت مسئولية طفل قبل كده.

- هات لها مربية تتولى تربيتها، وبالشكل ده المسئولية هتخِف من عليك.

- أنا فعلًا فكرت في الموضوع ده، بس أنا معرفش المربيات دول بيتجابوا منين.

- إنتَ هتحير نفسك ليه، مش فيه مربية كانت شغالة عند أخوك وكانت مسئولة عن تربية چايدا، روح لها واطلُب منها تشتغل عندك، وأكيد مش هترفض.

- إنتَ صح، أنا هتصل بسارة وآخد منها عنوان المربية دي وأطلع عليها على طول.

- تمام، وسيبنى أنا بقى عشان ألحق أخلص ليلتي، الفرح معدش فاضل عليه غير يوم واحد.

بعدها ركب «شريف» سيارته وأدار محركها ثم تحدث إلى «هشام» وقال:

- لو مجيتش الفرح هزعل منك!

- هو أنا أقدر أتاخر عنك، ده إنتَ أخويا!

أخرج «شريف» يده اليسرى من شباك السيارة وراح يلوح بها لـ«هشام» قائلًا:

- أما نشوف، سلام يا ابن عمتي.

تبسم «هشام» ولوح بيده قائلًا:

- سلام يا عريس.

*****

عند الظهيرة، توجه الرائد «أيمن صلاح» إلى مكتب المقدم «إيهاب الشيخ» ليُطلعه على آخر المستجدات، وما توصلت إليه فرقة التحريات من معلومات تخصّ قضية مقتل «عصام المليجي» وعائلته وقضيتين أخريين، دخل «أيمن» إلى مكتب المقدم «إيهاب»، والذي كان يصلي صلاة الظهر، فانتظر «أيمن» حتى انتهى من صلاته ثم تحدث إليه قائلًا:

- حرمًا يا إيهاب باشا.

نهض المقدم «إيهاب» من على الأرض حاملًا معه سجادة الصلاة التي كان يصلي عليها ثم ثناها ووضعها على أحد المقاعد، ومن ثم رد على «أيمن» وقال:

- جمعًا إن شاء الله، على الرغم إني من ساعة ما اشتغلت معاك مشوفتكش بتركعها.

تبسم «أيمن» وقال:

- ادعي لي بالهداية يا إيهاب باشا.

ارتدى «إيهاب» حذاءه ثم جلس على المكتب، وتحدث مازحًا:

- إنتَ بالذات عشان تهتدي لازم شيخ الأزهر بنفسه يدعي لك، اقعد بقى وقُل لي، إيه آخر الأخبار؟

جلس «أيمن» وتحدث قائلًا:

- عاصم الدسوقي والمحامي بتاعه بدأوا في إجراءات الوصاية على ورث چايدا، وده بيثير علامة استفهام حوالين علاقة عاصم الدسوقي بقضية قتل جوز بنته، خصوصًا وإن التقارير اللي عندي بتقول إن الموقف المالي لعاصم الدسوقي مش ولابد، وده معناه إنه ممكن يكون متورط في الجريمة دي.

- أنا شايف إن موضوع الوصاية ده طبيعي وميعتبرش دليل إدانة لعاصم.

- معاك يا إيهاب باشا إن الموضوع ممكن يكون طبيعي، بس لما تيجي لي معلومات إن حسام ابن عاصم الدسوقي قابل عادل الخولي، سكرتير عصام المليجي، في كازينو في شارع الهرم، فكده يبقى الموضوع فيه إنّ.

- اسمع يا أيمن، زود لي المراقبة على عاصم الدسوقي وابنه، لعل وعسى نوصل لمعلومات أهم من كده.

- تحت أمرك يا فندم.

- وبالنسبة لهشام، أخباره إيه؟

- مفيش جديد يا فندم، لدرجة إني بدأت أحس إنه ملوش علاقة بموضوع قتل أخوه.

- خليك برضه وراه، أنا عندي إحساس إن هشام ده حتى لو مطلعش هو الجاني فأكيد هيوصلنا لحاجات مهمة جدًا في القضية.

*****

استمَع «هشام» إلى نصيحة صديقه «شريف» بشأن إعادة «سعاد» لرعاية «چايدا» من جديد، حيث اتصل «هشام» بـ«سارة» وأخذ منها عنوان المنزل الذي تقطُن فيه «سعاد»، وبعدما حصل على عنوانها، ذهب إليها وطرقَ باب الشقة، فتحَت «سعاد» شُرَّاعة الباب لترى مَن الطارق، ولأنها لم تكن تعرف «هشام» فقد تحدثت إليه قائلة:

- حضرتك مين؟ وعايز إيه؟

رد «هشام» وقال:

- مش ده برضه منزل الأسطى رضا السواقظ

- أيوه، هو ده بيته، بس هو مش موجود دلوقتي، لو حضرتك عايزه ممكن تعدي عليه بعد الساعة عشرة بالليل، لأنه مبيبقاش موجود في البيت قبل الميعاد ده.

- تمام، بس أنا في الحقيقة مش عايز الأسطى رضا نفسه، أنا كنت عايزك إنتِ.

- عايزني أنا! هو مين حضرتك بالضبط؟

- أنا هشام المليجي، أخو المرحوم عصام المليجي، اللي إنتِ وجوزك الأسطى رضا كنتوا شغالين عنده.

فتحت «سعاد» الباب وقالت:

- الأستاذ هشام! يا أهلًا وسهلًا، اتفضل ادخل.

دخل «هشام» إلى منزل «سعاد» البسيط، والذي يشبه في تكوينه الكثير من المنازل الموجودة في الحارات الشعبية، من حيث المساحة الضيقة والجدران المتهالكة بعض الشيء والأثاث البسيط، في هذه الأثناء، تحدثت «سعاد» وهي تشير بيدها في اتجاه أريكة كبيرة عليها بعض الملابس، وقالت:

- اتفضل اقعد يا هشام بيه.

اقترب «هشام» من الأريكة للجلوس عليها، ولكنه فوجئ بيد «سعاد» تمتد إلى الأريكة وترفع بعض ملابس الأطفال الملقاة عليها قائلة:

- معلش يا هشام بيه، البيت مش قد المقام.

جلس «هشام» على الأريكة ثم نزع نظارته الشمسية من على عينيه ومن ثم رد قائلًا:

- متقوليش كده يا ست سعاد، البيت مقامه من مقام أهله، وإنتِ وجوزك ناس محترمين وخدمتم أخويا ومراته -الله يرحمهم- لسنين كتير بأمانة وإخلاص.

سحبت «سعاد» أحد كراسي طاولة الطعام ووضعته أمام «هشام» ثم جلست عليه، وتحدثت إليه قائلة:

- ربنا يخليك يا هشام بيه، ويا ريت تسامحني إني معرفتكش في الأول، بس الصراحة دي أول مرة أشوف سعادتك فيها.

- ليكِ حق متعرفينيش، لأن أنا فعلًا كنت مقصر في حق أخويا وعيلته ومكونتش بزورهم كتير، المهم قولي لي يا سعاد، إنتِ بتشتغلي الفترة دي في حتة؟

- عايز الحق يا هشام بيه، أنا وجوزي من ساعة حادثة عصام بيه الله يرحمه واحنا متبهدلين، والحالة المادية بتاعتنا بقت تعبانة خالص، رضا طول النهار بيشتغل على تاكسي عشان يوفر لنا لقمة العيش، وأنا بحاول أدور على أي شغلانة عشان أساعده، بس مش لاقية.

تبسم «هشام» وقال:

- ربنا هيفرجها عليكِ قريب!

- يسمع من بُقك ربنا يا هشام بيه.

- اسمعيني كويس يا ست سعاد، چايدا دلوقتي قاعدة عندي، وأنا الصراحة مبفهمش في تربية الأطفال، وكنت عايزك تشتغلي عندي مربية لچايدا، وهديكِ ضعف المبلغ اللي أخويا عصام كان بيدهولك، قولتي إيه؟

- هو أنا أقدر أتأخر عن چايدا حبيبتي! دي الغالية بنت الغاليين، ده أنا وجوزي لحم كتافنا من خير عصام بيه الله يرحمه.

نهض «هشام» من على الأريكة وأخرج ورقةً من جيبه وأعطاها إلى «سعاد» قائلًا:

- الورقة دي فيها رقم تليفوني وعنوان البيت بتاعي، تقدري تيجي تستلمي الشغل من بكرة.

- من بكرة الصبح إن شاء هتلاقيني عند سعادتك، بس ميصحش حضرتك تمشي كده من غير ما تشرب حاجة!

- ملوش لزوم يا ست سعاد.

- لا والله يا هشام بيه، لازم تشرب حاجة، ده إنتَ أخو الغالي وإكرامك واجب علينا، قُل لي بقى، تحب تشرب إيه؟

عاد «هشام» إلى الجلوس على الأريكة مرة أخرى وقال:

- طالما إنتِ حلفتي، يبقى يا ريت كوباية شاي خمسينة.

- من عينيا يا هشام بيه، دقيقة واحدة وأحلى كوباية شاي خمسينة هتكون جاهزة.

دخلت «سعاد» إلى المطبخ لتعد كوب الشاي الذي طلبه منها «هشام»، في حين ظل هو جالسًا على الأريكة يبعث نظراته يمينًا ويسارًا متفحصًا محتويات المنزل، وفي تلك الأثناء، فوجئ «هشام» بصوت شيءٍ ما يرتطم بالأرض تبعه صوت صراخ لطفلٍ صغير، فنهض من مكانه وتحرك في اتجاه صوت صراخ الطفل، والذي كانَ آتيًا مِن غرفة النوم.

بمجرد دخول «هشام» إلى الغرفة، وجد طفلةً صغيرةً جالسةً على الأرض تبكي وتصرخ، وإلى جوارها شكمجية صغيرة مفتوحة وكل محتوياتها متناثرة في جميع أنحاء الغرفة، فحمَل «هشام» الطفلة الصغيرة من على الأرض وبدأ يُقبِّلها ويمسح دموعها آملًا في إسكاتها، هنا دخلت «سعاد» إلى الغرفة وتحدثت قائلة:

- فيه إيه؟ إيه اللي حصل؟!

رد «هشام» وقال:

- البنت شكلها كانت بتلعب بالشكمجية فوقعت منها على الأرض، صوت وقوع الشكمجية على الأرض فزع البنت وخلالها تعيط.

أخذت «سعاد» الطفلة من «هشام» وقالت:

- مش عارفة أعمل إيه مع البنت دي، مغلباني على طول بشقاوتها وعفرتتها دي!

تبسم «هشام» وقال:

- حصل خير، أهم حاجة إن البنت كويسة.

ثم نزل «هشام» على ركبتيه وأمسك بالشكمجية وبدأ يجمع محتوايتها المتناثرة من على الأرض، هذا الموقف جعل «سعاد» تشعر بالإحراج، فتحدثت إلى «هشام» قائلة:

- أنا محرجة منك والله يا هشام بيه ومش عارفة أقول لك إيه!

تبسم «هشام» ورد وهو يجمع محتوايات الشكمجية من على الأرض قائلًا:

- سيبيها على الله يا ست سعاد، احنا كلنا ولاد تسعة.

وبينما كان «هشام» يجمع محتويات الشكمجية من أوراق ونقود وذهب، إذا به يجد سلسلة ذهبية، هذه السلسلة لم تكن غريبة عنه، لأنه كان قد أعطى هذه السلسلة كهدية لزوجة أخيه في عيد زواجهما الأول، فنهض «هشام» وهو يمسك بالسلسلة وتحدث بلهجة شديدة إلى «سعاد» قائلًا:

- إنتِ جبتي السلسلة دي منين؟ انطقي!

ردت «سعاد» بصوت مليء بالخوف قائلة:

- هقول لك، بس وحياة أغلى حاجة عندك يا هشام بيه متِئذينيش!

تحدث «هشام» بعصبية وبصوت قوي وعالٍ قائلًا:

- والله العظيم لو مقولتيش جبتي السلسلة دي منين وازاي لأكون مبيِّتك إنتِ وجوزك النهارده في السجن!

- أنا هقول لك على كل حاجة، عصام بيه أخو سعادتك هو اللي إداني السلسلة دي.

واصل «هشام» التحدث بنفس نبرة الصوت قائلًا:

- وأخويا عصام هيديكِ سلسلة ذهب في مقابل إيه بقى إن شاء الله؟!

- في مقابل إني أحفظ الأمانة وأسلمها للشخص اللي يستحقها.

- وتطلع إيه بقى الأمانة اللي تمنها سلسلة ذهب!

تحركت «سعاد» إلى داخل الغرفة، حيث وضعت طفلتها على السرير ثم فتحت أحد أبواب دولاب الملابس، وأخرجت منه ورقة ثم عادت مرة أخرى إلى «هشام» وأعطته إياها، وقالت:

- دي الأمانة اللي عصام بيه الله يرحمه استأمنِّي عليها.

فتح «هشام» الورقة وبدأ في قراءة محتواها الذي أصابه بالصدمة، فالورقة كانت عبارة عن عقد زواج عرفي بين «حسام الدسوقي» و«مها العاصي»، هذه الورقة جعلت «هشام» في حيرة من أمره وجعلته عاجزًا عن التفكير في أي شيء، فثنَى الورقة ووضعها في جيبه ثم تحدث إلى «سعاد» قائلًا:

- كده الأمانة وصلت لصاحبها!

ثم تحرك في اتجاه باب الشقة للمغادرة، فتبعته «سعاد» وتحدثت إليه قائلة:

- وبالنسبة للشغلانة اللي إنتَ كنت وعدتني بيها يا هشام بيه؟

فتح «هشام» باب الشقة ثم التفت «سعاد» ورد قائلًا:

- لما أتاكد من صحة الأمانة، ساعتها هقدر أستأمنك على چايدا!

بعدما غادر «هشام» منزل «سعاد»، عاد إلى منزله من أجل التفكير في تلك الألغاز التي تنهال عليه كالمطر وهو عاجز عن حلها وكشف غموضها، وحين وصل إلى منزله، وقبل أن يفتح الباب، وجد سيلًا من الدماء يخرج من أسفل الباب، ثم سمع صوت صراخ شديد، ففتح الباب بسرعة، ليجد «چايدا» تقف في منتصف المنزل، ملابسها مليئة بالدماء وتحمل في يدها سكينًا، على الأرض كلبته «بوو» مذبوحة من عنقها!

تقدم «هشام» ببطءٍ وحرصٍ شديدين وهو يتحدث إلى «چايدا» قائلًا:

- اهدي يا چايدا وارمي السكينة اللي في إيدك دي!

تحدثت «چايدا» بصوت قوي قائلة:

- أنا مش چايدا!

- أُمال إنتِ مين؟!

رفعت «چايدا» السكين إلى الأمام باتجاه «هشام» ثم قالت:

- أنا مازر، والدور الجاي عليك إنتَ!

بعد هذه الكلمات، سقطت «چايدا» على الأرض مغشيًّا عليها، فاندفع «هشام» نحوها وحمَلها إلى غرفتها، حيث وضعها على السرير وبدأ في وضع بعض العطر على يده ومن ثم وضعه على أنف «چايدا» لتستنشقه، استنشاق «چايدا» للعطر جعلها تستفيق وتعود مرة أخرى إلى وعيِها، فتحدثت وهي تبكي وترتعد من الخوف قائلة:

- بوو ماتت، بوو ماتت!

ضمَّ «هشام» «چايدا» إلى حضنه حتى يشعرها بالأمان، ثم قال:

- بوو في الأول وفي الآخر كانت حيوان، أهم حاجة إن الإنسان لسه بخير، وإنك لسه معايا، إنتِ عندي أغلى من أي حاجة في الدنيا، انسي اللي حصل وحاولي تنامي.

ردت «چايدا» وهي ما زالت ترتعد من الخوف قائلة:

- مش هعرف أنام بعد اللي أنا شفته، أنا خايفة قوي!

وضع «هشام» قبلة على رأسها وقال:

- أنا هنام جنبك عشان متخافيش، ومش بس كده، ده أنا كمان هحكي لك حدوتة، اسمعي يا ستي، كان في مرة بنت جميلة والناس كلها بتحبها، البنت دي كان اسمها چايدا، وكان عمها بيحبها قوي، وكان مستعد يعمل أي حاجة في سبيل سعادتها، حتى لو كان الثمن إنه يضحي بحياته، كان هيضحي بحياته علشانها، لأن چايدا بالنسبة له كانت هي الحياة...

وقبل أن يكمل «هشام» بقية الحكاية، كانت «چايدا» قد نامت، فضمَّها أكثر إلى حضنه وأطفأ النور حتى تنعم «چايدا» بنوم هادئ.

*****

الفصل السادس

في الصباح، توجه «هشام» إلى برج القاهرة، حيث كانت هناك طاولة محجوزة باسمه في أحد أفخم المطاعم بالبرج، جلس «هشام» على طاولة ملاصقة لإحدى النوافذ الكبيرة بالمطعم، والتي يمكن من خلالها أن ترى مدينة القاهرة بأكملها وتستمتع بمنظر النيل وغيره من الأماكن الخلابة والساحرة، ظل «هشام» ينظر في النافذة آملًا في إضاعة بعض الوقت حتى يصل الشخص الذي ينتظره، وبينما كان «هشام» ينظر في النافذة، وصلت «سارة» إلى المكان وجلست على الطاولة، لكن المنظر الخلاب الذي كان يشاهده «هشام» جعله لا يشعر بقدوم «سارة»، ولا حتى بجلوسها على الطاولة، فتحدثت هي قائلة:

- إحم إحم... نحن هنا!

نظر «هشام» إلى «سارة» وتحدث بدهشة قائلًا:

- سارة! إنتِ جيتي امتى؟

نظرت «سارة» إلى ساعتها وقالت:

- بقالي عشر دقائق قاعدة قدامك، ولسه واخد بالك إني وصلت! اللي واخد عقلك يتهنى به!

راح «هشام» ينظر إلى عيني «سارة» ويتمعن في جمالهما وقال:

- إنتِ اللي واخدة عقلي وقلبي يا سارة!

أصابت هذه الكلمات «سارة» بالخجل الشديد وجعلتها غير قادرة على الكلام، في تلك الأثناء، وصل الجرسون وتحدث إلى «هشام» قائلًا:

- تطلبوا إيه يا فندم؟

نظر «هشام» إلى «سارة» وقال:

- مش مكتوب لي أعرف أقول لك كلمتين حلوين على بعض!

ثم نظر «هشام» إلى الجرسون وتحدث إليه قائلًا:

- هات واحد عصير جريب فروت فريش للأستاذة، وهات لي قهوة عثمانلي، وهاتلنا اثنين مولتن كيك بالنوتيلا.

كتب الجرسون الطلبات ثم قال:

- أي أوامر تانية يا فندم؟

رد «هشام» وقال:

- لأ، شكرًا.

تبسمت «سارة» وتحدثت إلى «هشام» قائلة:

- إنتَ لسه فاكر الحاجات اللي أنا بحبها؟!

- أنا عمري ما أنسى أي حاجة تخصك يا سارة، لأنك بالنسبة ليَّ حب العمر، وأنا واثق ومتأكد إنه مهما فرقتنا الأيام والسنين، مسيرنا هنبقى لبعض.

تحدثت «سارة» بصوت حزين قائلة:

- للأسف يا هشام، أنا مش هقدر أمنحك السعادة اللي كل راجل بيتمناها، لأني عمري ما هكون أم!

- أنا سعادتي معاكِ إنتِ، إنتِ عندي أهم وأغلى حاجة في الدنيا.

- والمال والبنون هما زينة الحياة يا هشام.

- مش لكل الناس، في ناس السُّلطة بالنسبة لهم هي زينة الحياة، وفي ناس تانية الشهرة والنجومية بالنسبة لهم هي زينة الحياة، وفي ناس التعبد والتقرب إلى الله بالنسبة لهم هي زينة الحياة، كل واحد مننا بيشوف زينة الحياة من وجهة نظره هوَّ، لأننا مش زي بعض، البشر مختلفين، ومن رحمة ربنا علينا إننا مختلفين، لأننا لو كنا بنفكر زي بعض وأهدافنا كلها واحدة كانت الحياة هتتحول لسباق، وكل واحد فينا هيدمر التاني عشان يوصل لخط النهاية الأول ويفوز بالسباق.

- وإنتَ إيه هي زينة الحياة بالنسبة لك؟

- إنتِ زينة الحياة بالنسبة لي، ومن غيرك الحياة ملهاش لا طعم ولا قيمة.

تبسمت «سارة» وقالت:

- يعني أنا بالنسبة لك زينة الحياة؟!

- إنتِ مش زينة الحياة وبس، إنتِ كمان فتنة ولعنة!

عادت «سارة» بظهرها إلى الخلف ثم وضعت يديها فوق بعضهما بعضًا وقالت:

- وده يبقى مدح ولا ذم؟!

- ده يبقى حب! إنت فتنة لأنك فتنتيني بجمالك، ولعنة لأني مقدرتش أنساكِ ولا قدرت أنسى حبك، أنا من يوم فراقِك وأنا عايش بس مش حي.

- يعني إيه عايش بس مش حي؟! أنا مش فاهمة!

- يعني بخرج وأسهر وأشرب وأصاحب أجمل بنات في العالم، بعمل كل حاجة في الدنيا، ومع ذلك عمري ما حسيت بالسعادة، محسيتش بالسعادة غير وأنا قريب منك، عرفتي بقى يعني إيه عايش بس مش حي!

- عرفت، بس برضه لسه معرفتش، إنتَ طلبت تقابلني ضروري ليه؟

- إنتِ مصممة تغيري الموضوع.

تبسمت «سارة» وقالت:

- الصراحة آه، قُل لي بقى، كنت عايزني في إيه؟

في هذا الوقت، أحضر الجرسون الطلبات ووضعها أمام «سارة» وهشام وانصرَف، أخذ «هشام» رشفة من القهوة ثم عاد بظهره إلى الخلف وقال:

- الحقيقة، أنا عايز أتكلم معاكِ في موضوعين، الموضوع الأول بخصوص چايدا.

تحدثت «سارة» بلهفة شديدة وقالت:

- مالها چايدا؟ إيه اللي حصلها؟

- اطمني يا سارة، چايدا كويسة، بس فيه حاجة غريبة فيها.

- حاجة غريبة! ازاي يعني؟

- بصراحة كده، من ساعة ما چايدا جت وعاشت معايا وهي تصرفاتها مش مفهومة، مرة بتكون كويسة ورقيقة، وفي ثانية بتتحول وتبقى حد تاني خالص، لدرجة إني بدأت أقتنع بفكرة إنها ممكن تكون ممسوسة أو في شيطان مسيطر عليها! أنا عارف إن كلامي ممكن ميكونش منطقي، بس ده اللي أنا حسيته خلال الفترة اللي عشتها مع چايدا.

- اسمعني وحاول تفهمني كويس يا هشام، أنا معايا دكتوراه في علم النفس، ومن خلال دراستي، أقدر أقول لك إن چايدا مريضة نفسيًّا، يعني طبيعي جدًا يحصلها تحول في شخصيتها من الوقت للتاني، ده أمر طبيعي ومقبول بالنسبة للمريض النفسي، أما بقى بالنسبة لفكرة المس وإن فيه جن أو شيطان مسيطر عليها، فأنا عن نفسي مؤمنة بوجود الجن والشياطين في الحياة، بس أنا برضه مؤمنة بإن الجن له حدوده وله حياته الخاصة، وضد فكرة إن الشيطان مهما كانت قوته يقدر يسيطر على إنسان، وده لأني مؤمنة بإن الإنسان مخلوق قوي مش ضعيف، ربنا خلقه علشان يحكم الأرض ويعمرها، مش عشان الجن يتحكم فيه ويسيطر على أفعاله وتصرفاته.

- كلامك معقول، وبيدل على إن أنا إنسان غبي لأني مقدرتش أفهم چايدا طول الفترة اللي فاتت.

ضحكت «سارة» وقالت:

- هههههه، ولا يهمك، بتحصل في أحسن العائلات، قُل لي بقى، إيه الموضوع التاني اللي كنت عايزني فيه؟

وضع «هشام» يده في جيبه وأخرج ورقتي الزواج العرفي اللتين حصل عليهما خلال الفترة الماضية وإعطاهم إلى «سارة» قائلًا:

- الورقتين دول هما الموضوع التاني اللي شاغلني ومحيرني ومطير النوم من عيني!

أمسكت «سارة» الورقتين وبدأت في تفحصهما قائلة:

- ورقتين جواز عرفي بنفس التاريخ وبنفس العروسة، بس اسم العريس هو اللي

مختلف، في الورقة الأولى عصام أخوك هو العريس، وفي الورقة التانية أخويا حسام هو العريس، فعلًا موضوع غريب ومحير جدًا!

- عشان كده عرضت الموضوع عليكِ يمكن يكون عندك معلومات تساعدني في حل لغز الورقتين دول.

- للأسف يا هشام، أنا معنديش أي معلومات عن الموضوع ده، أنا حتى متفاجئة بيه ومستغربة منه زيك بالضبط.

- طب وتفتكري إيه الحل؟ ممكن نحل اللغز ده ازاي؟

ردت «سارة» وهي تتفحص الورقتين قائلة:

- احنا فعلًا قدام مشكلة كبيرة، لو كانت عقود الزواج دي رسمية، كان سهل إننا نتأكد من صحتها، إنما للأسف، عقود الزواج العرفي صعب إنك تثبت صحتها، بس في خيط صغير ممكن يوصلنا لصحة العقود دي ويعرَّفنا العقد السليم من العقد المزور.

- قولي لي عليه بسرعة، أنا في عرضِك!

وضعت «سارة» الورقتين أمام «هشام» وأشارت بيدها إلى الجزء السفلي من الورقتين قائلة:

- لو ركزت في الورقتين من تحت، أو المكان اللي فيه أسماء الشهود، هتلاقي إن فيه شاهد هو الوحيد اللي ماضي على العقدين، الشاهد ده اسمه عادل الخولي.

- عادل الخولي!

- إنتَ تعرفه؟

- آه طبعًا أعرفه، ده سكرتير أخويا عصام الله يرحمه!

- يبقى كده الموضوع اتحل، إنتَ تقابل اللي اسمه عادل ده، وتعرف منه حقيقة العقدين دول، ومين عالم، يمكن يكون عنده معلومات أهم من كده بكتير.

- عندك حق، أنا هطلع من هنا على الشركة على طول وأحاول أفهم من عادل إيه حكاية الورقتين دول بالضبط.

نهضت «سارة» من على مقعدها وارتدت نظارتها الشمسية ثم قالت:

- أنا كمان عندي حاجات كتير لازم أخلصها في الجامعة، ابقى طمني عليك.

نهض «هشام» بسرعة وتحدث إليها قائلًا:

- معلش يا سارة، ممكن أطلب منك طلب أخير؟

تبسمت «سارة» وقالت:

- طلباتك النهارده كتير يا هشام، بس مش مشكلة، قُل إنتَ عايز إيه.

- فرح شريف ابن خالي النهارده، ولازم أنا وچايدا نحضر الفرح، بس أنا الصراحة مش عارف أجهز چايدا للفرح ازاي، يعني لبسها وتسريحتها والحاجات بتاعة البنات دي، إنتِ أكيد أدرى مني بيها، علشان كده أنا عايزك تاخدى چايدا معاكِ النهارده تجهزي لَها حاجتها، وبالليل هعدي آخدها معايا الفرح.

- من الناحية دي متقلقش خالص، أنا النهارده بعد ما أخلص شغل في الجامعة هعدي آخد چايدا من المدرسة، وهشتري لها فستان فرح روعة، وهجهزها وأخليها عروسة، وكمان هاجي معاها الفرح، إيه رأيك بقى؟

- أنا مش عارف أودي جمايلك فين الصراحة، إنتِ بجد إنسانة عظيمة!

- الإنسانة العظيمة دي لو موصلتش الجامعة كمان عشر دقائق هتترفد من الشغل، باي!

غادرت «سارة» المطعم تاركةً «هشام» يلوم ويوبخ نفسه على أنه في يوم من الأيام أضاع هذه الفتاة الرائعة في كل شيء من بين يديه، فوجود فتاة بمثلِ هذه الصفات في حياته كان ليترك أثرًا كبيرًا عليها، لكن من يدري، فلعل الأشياء الجميلة التي لم تحدث له سابقًا ستحدث في قادم الأوقات.

*****

بحثًا عن معلومات جديدة تساعده في كشف لغز الجرائم التي حدثت تباعًا خلال الفترة الماضية، قرر المقدم «إيهاب الشيخ» التوجه إلى شركة «عاصم الدسوقي» ولقائه، آملًا في الوصول إلى خيط ولو ضعيف يقوده إلى معرفة القاتل الغامض

الذي سعى في الأرض فسادًا طيلة الفترة الفائتة، دخل المقدم «إيهاب» إلى مكتب «عاصم الدسوقي»، فتحدث «عاصم» بعجرفته المعتادة وهو جالس في مكانه:

- زيارة مفاجئة يا سيادة المقدم، كان المفروض إنك تبلغني قبل ما تشرفني بالزيارة دي، مش دي برضه الأصول ولا إيه؟!

- أنا آسف إني جيت لسعادتك على غفلة، بس أنا مش هاخد من وقتك كتير، تسمح لي أقعد؟

- اتفضل.

- أنا عارف إنك عندك مشاغل كتير، كان الله في العون، عشان كده زي ما قُلت لحضرتك، أنا مش هاخد من وقتك كتير، يدوب هندردش مع بعض شوية وبعدين هاخد بعضي وأمشي.

ضحك «عاصم» ضحكة مستفزة ثم قال:

- هي الشرطة سابت مطاردة المجرمين وبقت متخصصة في الرغي والدردشة!

المواقف الكثيرة المستفزة التي مر بها «إيهاب» طيلة مدة عمله في الشرطة جعلته أكثر هدوءًا واتزانًا، فكظم غيظه ورد قائلًا:

- الدردشة جزء مهم من شغلنا يا فندم، وأظن كل واحد فينا أدرى بشغله.

واصل «عاصم» استفزاز «إيهاب» قائلًا:

- بمناسبة الشغل، أخبار القاتل اللي مدوخكم ومش عارفين توصلوا له إيه؟

- متقلقش يا فندم، مسيرنا هنوصله، مفيش مجرم مهما كان ذكاؤه ودهاؤه يقدر يهرب من العدالة.

- ربنا يقويكم ويديكم الصحة وطول العمر وتقدروا تقبضوا عليه.

- اللهم آمين، خلينا بقى نتكلم في المهم أحسن.

- يا ريت، لأن وقتك معايا قرب يخلص.

- بلغني إن المحامي بتاع سعادتك قدم ورق بطلب الوصاية على جميع الممتلكات

الخاصة بچايدا.

- وإيه المشكلة في كده؟

- لما حضرتك تطلب الوصاية على چايدا وممتلكاتها في تاني يوم من وفاة والدها، وكمان حسام بيه ابن سعادتك يتقابل كذا مرة مع عادل الخولي، اللي هو سكرتير المرحوم عصام المليجي ومدير أعماله، يبقى أكيد في مشكلة.

بعصبية شديدة تحدث «عاصم الدسوقي» وقال:

- قصدك إيه يا سيادة المقدم؟! إنتَ بتتهمني أنا وابني بقتل بنتي وجوزها؟!

- أنا مقُلتش كده، وأنا لو كنت بتهم سعادتك كنت استدعيتك عندي في القسم وفتحت معاك تحقيق رسمي، إنما أنا جيت لغاية عندك وبتكلم معاك بشكل ودي مش أكتر.

- لا يا سيادة المقدم، إنتَ مقدرتش تستدعيني بشكل رسمي لأنك معندكش دليل ضدي، وكمان لأنك عارف إن أنا ليَّ علاقات كتير، ورؤساءك كلهم أصدقائي، يعني ممكن أأذيك!

نهض «إيهاب» من على الكرسي وقال:

- أنا هعتبر نفسي مسمعتش التهديد اللي إنتَ قُلته في الآخر ده، بس خليك فاكر يا عاصم بيه إن الأيام دوارة، والعجرفة والعنجهة دي مسيرها تروح، شكرًا على الدردشة اللطيفة دي، وإن شاء الله هنتقابل قريب، يا عاصم بيه!

*****

سعيًا وراء الحقيقة، ذهب «هشام» إلى شركة أخيه «عصام»، حيث كانت وجهته وقبلته الأولى والأهم هي مكتب سكرتير الشركة، من أجل مقابلة «عادل الخولي» والحصول منه على أي معلومات يستطيع من خلالها معرفة أي العَقدَين هو السليم، ودون استئذان اندفع «هشام» إلى داخل مكتب «عادل الخولي»، والذي ما إن رآه حتى نهض من على مكتبه وتحدث قائلًا:

- نورت المكتب يا هشام باشا!

أخرج «هشام» العقدين من جيبه ووضعهما أمام «عادل» وهو يتحدث بعصبية شديدة قائلًا:

- تعرف إيه عن العقدين دول يا عادل؟

- بتوع إيه العقدين دول؟ أنا معرفش عنهم حاجة!

اقترب «هشام» من «عادل» ولفَّ يديه حول عنقه قائلًا:

- إنتَ هتستعبط يا روح أمك؟! ده إنتَ ماضي وباصم على العقدين، ورحمة أخويا عصام، لو ما قُلت لي حقيقة العقدين دول إيه، لأكون دافنك في مكانك، انطق!

رد «عادل» وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة بالغة قائلًا:

- هقول لك على كل حاجة، بس خِف إيدك عني، أنا قربت أتخنق!

أبعد «هشام» يديه عن عنق «عادل» وقال:

- أديني بعدت إيدي عنك خالص، اتكلم بقى وقُل لي تعرف إيه عن العقدين دول.

بدأ «عادل» يستعيد أنفاسه مرة أخرى وعاد ليتنفس بشكل طبيعي من جديد، ومن ثم رد قائلًا:

- العقد بتاع حسام بيه هو اللي سليم.

- يعني حسام هو اللي كان متجوز مها العاصي؟

- مضبوط.

- طب لما مها العاصي كانت متجوزة حسام، طليقها جه ليه هنا وهدد عصام أخويا زي ما إنتَ قُلت لي؟

- لأن عصام بيه الله يرحمه كان وعَد طليق مها العاصي بإنه هينهي الموضوع ده، وهيخلي حسام يطلق مها، بس للأسف، حسام بيه ركب دماغه ومرضاش يطلقها، عشان كده طليقها جه هنا وهدد عصام بيه.

- أنا كده عرفت طليق مها العاصي جه هنا وهدد أخويا بالقتل ليه، ناقص إني أعرف إيه بقى حكاية العقد العرفي التاني اللي باسم أخويا عصام.

- العقد ده أنا زورته مع حسام بعد وفاة عصام بيه، وحسام طلب مني أحطه وسط المستندات اللي في الخزنة، عشان لو حضرتك لقيت العقد السليم تتوه ومتعرفش مين فيهم العقد السليم ومين المزور، وبالشكل ده محدش يعرف إن حسام بيه كان متجوز مها العاصي.

- وطبعًا إنتَ قبضت مبلغ حلو نظير الموضوع ده، مش كده ولا إيه؟

- حسام بيه رضاني الصراحة.

- طالما حسام رضاك، يبقى تطلع بره المكتب ده، ومشوفش خلقتك تاني في الشركة، اطلع بره!

تبسم «عادل» ابتسامة خبيثة ورد قائلًا:

- لو حد فينا هيطلع بره الشركة، يبقى للأسف سعادتك اللي هتطلع، مش أنا.

أمسك «هشام» بعنق «عادل» مرة أخرى وقال:

- إنتَ بتقول إيه يا حيوان إنتَ؟! الشركة دي بتاعة أخويا، يعني أنا الآمر الناهي هنا.

تحدث «عادل» وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة قائلًا:

- مش أنا اللي بقول كده يا هشام باشا، النهارده الصبح وصل جواب للشركة بإن عاصم بيه الدسوقي بقى هو الواصي الشرعي على أملاك چايدا، بنت أخو سعادتك، وعليه أصبحت الشركة دي وجميع ممتلكات عصام بيه الله يرحمه ملك لعاصم الدسوقي وعائلته، يعني بالبلدي كده حضرتك متملكش سلطة طردي من الشركة.

أبعد «هشام» يده عن عنق «عادل» وقال:

- ماشي يا عادل، الأيام ما بيننا، وابقى خلي عاصم الدسوقي وابنه ينفعوك!

بعدها غادر «هشام» الشركة، فيما ظل «عادل» يجلس في مكانه يبتسم ابتسامته الخبيثة المعتادة، فرحًا بما حققه من مكاسب كبيرة خلال الفترة الماضية، والتي ستكون قابلة للزيادةَ في الأيام المقبلة.

*****

عادت «سارة» ومعها «چايدا» إلى المنزل، حيث كان معهما العديد من الحقائب التي تحتوي على فساتين ومكياج وغيرها من الأشياء التي اشترتها «سارة» استعدادًا لحضور فرح «شريف»، وصلت «سارة» ومعها «چايدا» إلى المنزل وهما في حالة من السعادة والفرح، وداخل فيلا «عاصم الدسوقي»، استوقف «حسام» شقيقته «سارة» قبل أن تصعد إلى غرفتها، وتحدث إليها بلهجة قوية وحادة قائلًا:

- كنتِ فين يا سارة؟

ردت «سارة» وقالت:

- كنت بشتري شوية حاجات ليَّ ولچايدا عشان عندنا فرح النهارده.

- فرح مين؟ حد من عائلتنا؟

- لأ، ده فرح شريف قريب هشام.

- شريف قريب هشام! يعني المعلومات اللي عندي مضبوطة، قابلتي هشام الصبح وهتقابليه كمان بالليل.

- معلومات إيه يا حسام؟ هو إنتَ بتراقبني؟! وبعدين إيه المشكلة لما أقابل هشام سواء الصبح أو بالليل؟!

- المشكلة إننا ما صدقنا قطعنا علاقتنا بعائلة المليجي دي تمامًا، ومع ذلك إنتِ مصممة تربطينا بيهم تاني.

- إنتَ بتقول إيه يا حسام، احنا كده كده مرتبطين بهشام وعيلته، والرابط واقف جنبي أهو، ولا إنتَ مش واخد بالك؟!

نظر «حسام» إلى «چايدا» وقال:

- چايدا من النهارده بقت تبع عائلة الدسوقي وبس، ومش هترجع لهشام تاني.

- إنتَ بتقول إيه يا حسام؟! إنتَ أكيد بتخرف!

صفع «حسام» «سارة» على وجهها صفعة قوية ونهرها قائلًا:

- أنا مش بخرَّف! ومن النهارده لا إنتِ ولا چايدا هتقابلوا هشام تاني، مفهوم؟

هنا تحدثت «چايدا» ببراءة الأطفال قائلة:

- إنتَ وحِش يا خالو حسام، يا رب تموت!

نظر «حسام» إلى «چايدا» وتحدث إليها بحدة قائلًا:

- اخرسي يا بنت! لما تتكلمي مع الأكبر منك تتكلمي بأدب.

في هذه الأثناء، وصل «عاصم الدسوقي» حيث أثار الصوت العالي لـ«حسام» وبكاء «سارة» نتيجة صفعه لها حفيظة «عاصم»، والذي تحدث قائلًا:

- فيه إيه؟ إيه اللي بيحصل هنا بالضبط؟

رد «حسام» وقال:

- الهانم دايرة على حل شعرها، قابلت هشام الصبح وكمان هتقابله النهارده بالليل.

نظر «عاصم» إلى «سارة» وقال:

- الكلام اللي حسام بيقوله ده مضبوط؟

ردت «سارة» وهي تبكي قائلة:

- الحكاية كلها إن النهارده فرح شريف قريب هشام، فهشام كلمني وطلب مني إني أجيب لچايدا فستان تحضر بيه الفرح وأسرحها وأظبتها لأنه مبيفهمش في حاجات البنات دي، وأنا وافقت، ده اللي حصل واللي علشانه الأستاذ حسام ضربني بالقلم!

تحدث «عاصم» إلى «سارة» وقال:

- حصل خير يا سارة، خدي چايدا واطلعي على أوضتك علشان تلحقوا تجهزوا للفرح.

بعدما صعدت «سارة» و«چايدا» إلى الطابق العلوي للفيلا حيث غرفة «سارة»، نظر «عاصم» إلى «حسام» وتحدث إليه قائلًا:

- وإنتَ يا حسام خف اللعب شوية، الفترة اللي جاية مش عايزين مشاكل مع حد، مفهوم؟

- مفهوم يا بابا.

ثم صعد «عاصم» هو الآخر إلى غرفته لينال قسطًا من الراحة قد لا يناله مرة أخرى، فالأيام المقبلة لن تكون هنيئة كسابقتها.

*****

مع حلول المساء، وقف «هشام» أمام سيارته في انتظار انتهاء «سارة» و«چايدا» من تجهيز أنفسهما للعرس، وبمجرد خروج «سارة» و«چايدا» من الفيلا، تحرك «هشام» نحوهما حيث انحنى قليلًا وتحدث إلى «چايدا» قائلًا:

- الله! إيه الفستان والشنطة الحلوين قوي دول!

ضحكت «چايدا» وقالت:

- خالتو سارة هي اللي جابتهم لي.

رفع «هشام» رأسه ونظر إلى «سارة»، والتي كانت في تلك الليلة جميلة جدًا وفي منتهى التألق، وكأنها قمرٌ في عز اكتماله، تحدث «هشام» وهو ينظر إلى «سارة» قائلًا:

- خالتو كمان النهارده متألقة على الآخر، ممكن القمر ياخد النهارده أجازة وخالتو تنور لنا الدنيا مكانه.

بخجل شديد، ردت «سارة» وقالت:

- ميرسي، إنتَ كمان بدلتك شيك قوي.

لاحظ «هشام» وجود ندبة حمراء صغيرة على وجه «سارة» نتيجة الصفعة التي تلقتها من «حسام»، وعلى الرغم من محاولة «سارة» إخفائها باستخدام مساحيق التجميل، فإنها قد فشلت في ذلك، رؤية «هشام» لتلك الندبة جعله يتحدث إليها قائلًا:

- إيه اللي في وشك ده يا سارة؟

- مفيش حاجة يا هشام، يلا بينا نمشي من هنا.

ظل «هشام» واقفًا في مكانه وتحدث قائلًا:

- مش هتحرك من هنا غير لما أعرف مين اللي عمل كده!

فضَّلت «سارة» السكوت والامتناع عن الرد، لكن «چايدا» لم تسكت وردت على «هشام» قائلة:

- خالو حسام لما عرف إن خالتو سارة قابلتك ضربها على وشها بالقلم.

نظر «هشام» إلى «سارة» وقال:

- الكلام ده حقيقي يا سارة؟

- أيوه حقيقي، أرجوك يلا بينا نمشي!

- أخوكِ حسام زودها قوي ولازم يتربَّى.

ثم تحرك «هشام» نحو باب الفيلا، لكن «سارة» أمسكته من ذراعه وقالت له:

- لو بتعزني بجد بلاش تدخل، احنا خارجين عشان ننبسط ونفرح، بلاش نبوظ اليوم، احنا بقالنا كتير قوي مفرحناش.

انصاع «هشام» لكلمات «سارة» حيث رد قائلًا:

- معاكِ حق، مفيش داعي إننا نبوظ اليوم عشان عيل تافه زي ده.

ثم تحرك «هشام» ومعه «سارة» و«چايدا» إلى السيارة وانطلقوا إلى العرس، كل هذا حدث أمام عيني «عاصم الدسوقي» الذي كان يقف في شرفة غرفته يشاهد ويتابع كل ما يحدث، وفي تلك الأثناء، دخل «حسام» إلى الغرفة واقترب من والده وتحدث إليه قائلًا:

- مش قادر أصدق إنك سمحت لهم يخرجوا مع بعض، وكمان سايبهم يفرحوا وينبسطوا، إنتَ اتغيرت قوي وقلبك بقى طيب زيادة عن اللزوم.

تبسم «عاصم» ابتسامة خبيثة ورد وهو ينظر إلى الشرفة قائلًا:

- متقلقش يا حسام، مش هيلحقوا يفروحوا ولا ينبسطوا، جهز لي إنتَ بس الأوضة المسحورة وسيب الباقي عليَّ.

- الأوضة جاهزة وفي انتظارك يا ملِك!

*****

وصل «هشام» ومعه كلًا من «سارة» و«چايدا» إلى القاعة التي سيقام بها عرس «شريف»، حيث جلسوا معًا على الطاولة المخصصة لهم، ومع وصول «شريف» وعروسه إلى القاعة، ضجت القاعة بالتصفيق والزغاريد، منظر العروسين الرائع والمبهج جعل «هشام» ينظر إلى «سارة» ويقول:

- عقبالك.

ردت «سارة» وقالت:

- عقبالك إنتَ كمان.

تبسم «هشام» وداعب «سارة» قائلًا:

- ما هو عقبالي هو عقبالك برضه، ولا إنتِ مش واخدة بالك؟!

تبسمت «سارة» وردت بخجل قائلة:

- مش أنا لوحدي اللي واخدة بالي، المعازيم هما كمان بدأوا ياخدوا بالهم!

في هذا الوقت، بدأ الشخص الواقف على «الدي جي» يتحدث قائلًا:

- الأغنية اللي جاية رومانسية، فيا ريت العريس والعروسة يتفضلوا هنا على الإستيدچ (Stage)، ولو فيه أي كابيلز حابين يشاركوا معانا يا ريت يتفضلوا.

نهض «هشام» وأغلق أزرار بدلته ثم مد يده إلى «سارة» طالبًا منها أن تشاركه الرقص:

- تقبلي تشاركيني الرقصة دي؟

أمسكت «سارة» بيد «چايدا» ووضعتها في يد «هشام» قائلة:

- چايدا محتاجة الرقصة دي أكتر مني، أنا متأكدة إن الرقصة دي هتقربك منها أكتر وهتخليك تحس بيها وتفهمها أكتر من أي وقت فات.

أمسك «هشام» بيد «چايدا» واصطحبها معه إلى «الإستيدچ» وبدأ يرقص معها على الأغنية الرومانسية «كل حياتي» للمطرب «عمرو دياب»، والتي تقول كلماتها:

«يا كل حياتي وآمالي ويا أجمل سنين فاتت

وحبي وكل أشواقي وكل لحظة معاك كانت

أنا منك وكلي ليك حياتي ليك ورهن إيديك

أشوف العمر فيك إنتَ وأشوف الدنيا دي في عينيك»

هذه الكلمات الرقيقة حركت مشاعر «هشام» أكثر نحو «چايدا»، وأصبح يشعر أنه والد هذه الطفلة وليس عمها، فراح يرقص معها وهو في حالة من النشوة والفرح، وأمسك يدها وجعلها تدور حول نفسها كأنها فراشة جميلة تطير في الأفق، ثم رفعها في الهواء والتقطها وهي تضحك من شدة السعادة والفرح، ظلًا هكذا حتى انتهت الأغنية، فنزل «هشام» على ركبتيه وضمَّ «چايدا» إلى حضنه، وهنا أحس «هشام» بشعور لم يعرفه من قبل، شعر «هشام» أن «چايدا» أصبحت جزءًا منه لا يمكن أن يفرط فيه مهما حدث، ولن يسمح لأي شخص أن يضرها أو يمس ولو شعرة صغيرة منها، في تلك الأثناء، وبينما كان «هشام» يحتضن «چايدا»، فوجئ الجميع بانقطاع الكهرباء عن القاعة بالكامل، وفوجئ «هشام» بـ«چايدا» تتحدث في أذنه وهي تبكي قائلة:

- معدش متبقي غير واحد بس، أرجوك انقذني!

*****

الفصل السابع

يُقال إن لكل فعلٍ رد فعل، وعندما تكون الظروف والمواقف التي تمر بها ليست طبيعية، فمن المؤكد بأن أفعالك وتصرفاتك لم ولن تكون طبيعية بأى حال من الأحوال، فنحن مجرد مرآة وانعكاس للظروف التي نمر بها خلال رحلتنا في هذه الحياة، وما دامت الحياة ليست طبيعية وتتقلب بين حين وآخر، فلا عجب أن نكون نحن البشر غير طبيعيين في الكثير من أفعالنا، «هشام» كان هو المثال الحي على تلك الكلمات، فالمواقف المتغيرة وغير الطبيعية التي حدثت معه طيلة الفترة الماضية، جعلته هو الآخر يتصرف بشكل غير طبيعي وغير مألوف في عاداتنا وتقاليدنا، ففي الصباح الباكر، وبينما كان «شريف» ينام في سريره بجوار زوجته، إذا بجرس المنزل يرن، حاول «شريف» تجاهل هذا الصوت بوضع وسادة على رأسه، لكن طارق الباب ظل يعزف على جرس الباب وكأنه يعزف على آلة موسيقية وليس جرس منزل، بل وراح يطرق على الباب بكل قوة ليزيد من لحنه المزعج، صوت الجرس والطرق القوي والمزعج على الباب جعل زوجة «شريف» تتحدث إليه قائلة:

- قوم يا شريف شوف مين اللي على الباب.

تحدث «شريف» بعصبية قائلًا:

- ده مين الرزل اللي جايلنا دلوقتي!

- معلش يا شريف، قوم شوف مين، يمكن يكون في حاجة مهمة.

أزال «شريف» غطاء السرير من عليه ونهض وهو يتمتم قائلًا:

- أديني رايح أفتح الباب، شكلها جوازة ما يعلم بيها إلا ربنا!

خرج «شريف» من غرفته وهو يتحدث بعصبية شديدة إلى طارق الباب الذي كان مستمرًا في طرق الباب دون توقف، حيث قال:

- أديني جاي أفتح لك أهو، اهدا بقى شوية.

فتح «شريف» الباب، فإذا به يجد «هشام» يقف أمامه ويتحدث إليه قائلًا:

- ازيك يا عريس؟ أخبارك إيه؟

بدهشة وذهول شديدين، تحدث «شريف» قائلًا:

- هشام! إنتَ إيه اللي جابك دلوقتي يا ابن ...

كان «هشام» يعلم أنه سيتلقى وصلة من السباب نتيجة زيارته لـ«شريف» في هذا الوقت غير المناسب، لذا قاطعه وتحدث قائلًا:

- من غير شتيمة، أنا عارف إني جيتلك في وقت مش مناسب، بس للضرورة أحكام، أنا حاولت أكلمك كذا مرة على التليفون، بس لأنك عريس فتليفونك طبعًا كان مقفول، عشان كده جيت لك بنفسي يا ابن خالي.

- يا أخي ملعون دي قرابة! تصدق وتؤمن بالله.

- لا إله إلا الله.

- إنتَ كرهتني في أبويا بسبب القرابة السودا اللي بينا.

تبسم «هشام» وقال:

- ربنا يسامحك، أنا مش هرد عليك، علشان إنتَ عريس جديد ومحتاج صحتك.

- كويس إنك عارف إن أنا لسه زفت عريس جديد، ممكن بقى تتفضل تمشي!

- يعني أنا ألطع مشوار لغاية بيتك، وأفضل أضرب الجرس ساعة بحالها لغاية ما تفتح، وفي الآخر عايزني أمشي كده، من غير ما أقول لك أنا كنت عايز منك إيه، ده اسمه كلام برضه؟!

- اخلص يا هشام وقُل لي عايز إيه!

تبسم «هشام» وداعب «شريف» قائلًا:

- كنت عايز أعرف إنتَ عملت إيه امبارح.

رد «شريف» بنرفزة قائلًا:

- وعهد الله يا هشام، لو ما قُلت إنتَ عايز إيه، لأكون قافل الباب في وشك، ومش فاتح لك حتى لو قعدت تضرب الجرس ميت سنة.

- خلاص خلاص هقول لك، إنتَ كنت قبل كده قُلت لي إنك تعرف دكتور أو بروفيسور متخصص في مجال السحر.

- حصل، وساعتها إنتَ اتريقت عليَّ وقُلت لي إن مفيش حاجة اسمها سحر، وإن السحر والشعوذة ده كلام بيؤمن بيه الناس الجاهلة، صح؟ مش ده اللي حصل؟!

تبسم «هشام» وقال:

- أنا غلطان يا سيدي، ومستعد أبوس إيدك كمان لو ده هيرضيك.

- ولا تبوس إيدي ولا رجلي، قُل لي إنتَ عايز إيه بالضبط، خليني أرجع أكمل نومي.

- أنا كنت عايز عنوان الراجل ده، يمكن يقدر يساعدني ويعالج چايدا.

- أنا هدخل أجيب لك عنوانه عشان خاطر البنت الغلبانة بس، إنما إنتَ ليك حساب تاني معايا.

- هههههه، براحتك يا عريس.

دخل «شريف» إلى غرفة نومه وفتح محفظته وأخرج منها كارتًا، ثم عاد إلى «هشام» وتحدث إليه قائلًا:

- خد يا هشام، ده الكارت بتاع البروفيسور كمال علام، فيه عنوانه ورقم تليفونه، ولما تقابله قُل له بس إنك قريبي، وهو هيعمل معاك الواجب.

أخذ «هشام» الكارت وقال:

- ربنا يخليك ليَّ يا شريف، إنتَ فعلًا رجولة وأخلاق.

تبسم «شريف» وقال:

- طب يلا بقى امشي من هنا علشان أعرف أثبت رجولتي.

- هههههه، شد حيلك يا بطل، سمعة العائلة بين إيديك، اوعى تكسفنا.

رد «شريف» وقال:

- امشي بقى يا رخم!

ثم أغلق «شريف» الباب وعاد ليكمل نومه، فيما غادر «هشام» وهو ينظر إلى الكارت متمنيًا أن يجد الخلاص والعلاج المناسب لـ«چايدا» عند صاحب هذا الكارت.

*****

الطمع والجشع هما سرطان النفس البشرية، إذا أصابا شخصًا ما وتمكنا منه جعلا منه حيوانًا شرهًا لا يشبع أبدًا، غايتة الأولى والأخيرة هي الحصول على أغلى وأثمن المكاسب، مهما كلفه هذا من ثمن، ولكن يبقى قانون الحياة هو الغالب في نهاية الأمر، فالأمراض الخطيرة والمستعصية كالطمع والجشع تقود صاحبها دائمًا نحو الهاوية، حيث لا خلاص ولا عودة، وحده الموت هو المصير المنتظر.

مع نجاح «عاصم الدسوقي» ونجله «حسام» في السيطرة على إرث «چايدا»، زادت أطماع «عادل الخولي» وازدادت رغبته في الحصول على المزيد من المكاسب، لا سيما وأنه يرى أنه كان عاملًا أساسيًّا وعنصرًا فعالًا في حصول «عاصم الدسوقي» على هذه الوليمة الدسمة، فما المانع إذًا من تذوق بعض اللقيمات الصغيرة من تلك الوليمة، تلك الطريقة التي كان يفكر بها «عادل» جعلته يتحدث إلى رئيسه الجديد «حسام الدسوقي»، والذي أسند إليه والده مهمة إدارة جميع الشركات التي كان يملكها «عصام المليجي»، حيث انتظر «عادل» انتهاء العاملين بالشركة من الترحيب برئيسهم الجديد، وفور مغادرتهم للمكتب تحدث «عادل» قائلًا:

- مبروك عليك الشركة يا حسام باشا، المكتب والمنصب الجديد لايقين عليك، كأنهم متفصلين مخصوص علشان سعادتك.

تبسم «حسام» ورد قائلًا:

- ميرسي يا عادل، إنتَ كمان كان ليك دور كبير في اللي احنا وصلنا له ده.

- أنا الراجل بتاعك، وإخلاصي وولائي ليك وللباشا الكبير.

- والباشا الكبير منسيش ده وخلاك السكرتير العام لجميع شركات ومشروعات عصام المليجي، وده يعتبر أجر مناسب للخدمات اللي إنتَ قدمتها لنا.

- طبعًا، وأنا مقدرش أنكر خيرك وخير الباشا الكبير عليَّ، بس أنا كان ليَّ طلب صغير.

- خير يا عادل، عايز إيه؟

- كنت عايز مبلغ بسيط أجيب بيه شقة لابني عشان يتجوز فيها.

- ويطلع كام المبلغ البسيط ده؟

- مليون جنيه.

- مليون جنيه ليه؟! إنتَ ناوي تشتري شقة ولا فيلا!

- يا حسام باشا...

قبل أن يكمل «عادل» كلامه، قاطعة «حسام» وتحدث بصوت قوي ونبرة حادة قائلًا:

- عادل، إنتَ أخدت اللي يكفيك وزيادة، فبلاش طمع، لأن الطمع سكته وحشة وآخرته سودا بعيد عنك، ودلوقتي اتفضل على مكتبك، وبعد كده ابقى اختار مواضيعك معايا أحسن لك، مفهوم؟

- مفهوم يا حسام باشا.

غادر «عادل» المكتب دون إرضاء شهوة الطمع بداخله، ودون إطعام الحيوان الشره الذي يترعرع بداخله ويسيطر عليه، لكن الأكيد أن «عادل» لن يرضى بهذا الوضع، وسيبحث عن وسيلة وطريق آخر يجلب منه الطعام لحيوانه الشره.

*****

نُخلَق على الفطرة، ثم تعبث عقولنا بنا فنسلك دروبًا لم نكن نتخيل الاقتراب منها في يوم من الأيام، تتبدل أقدارنا وتتغير مصائرنا وتصبح الأيام أكثر قسوة وحدة ويسيطَر الغموض على مستقبلنا، نتحسس خطواتنا وسط ظلامٍ حالك، فنرى ضوءًا

يسطع في آخر الطريق كلما اقتربنا منه ابتعد عنا، وكأننا نطارد سرابًا، ومع ذلك نستمر في المضي قدومًا حاملين في قلوبنا أملًا ضئيلًا، لكنه كافٍ لنحيا به، فنحن قومٌ يكفينا الأمل للحياة، فما دام هناك أمل فهناك حياة.

البروفيسور «كمال علام» بات هو الأمل الوحيد لـ«هشام» كي يحل لغزًا مهمًا من الألغاز الكثيرة التي باتت تحيط به في الفترة الأخيرة- لذا توجه «هشام» على الفور إلى فيلا البروفيسور «كمال علام» لمقابلته وعرض مشكلته عليه.

أوقف «هشام» سيارته وراح ينظر إلى الفيلا القديمة صغيرة الحجم التي على يساره ويتفحص اللوحة الصغيرة المُلصَقة على جانب الفيلا، ليتأكد من أنه وصل إلى المكان الذي يريد، رؤية «هشام» لتلك اللوحة الصغيرة، والتي كان مكتوبًا عليها «فيلا البروفيسور كمال علام»، جعلته يطمئن ويتأكد من وصوله إلى حيث يريد، فنزل «هشام» من السيارة وأغلق بابها، وبمجرد أن تحرك خطوتين في اتجاه الفيلا، إذا بهاتفه المحمول يرن، أخرج «هشام» هاتفه ورد على الرقم الغريب الذي يتصل به قائلًا:

- ألو، مين معايا؟

رد المتصل وقال:

- مش مهم تعرف أنا مين، المهم تسمع الكلمتين اللي هقولهم لك دول كويس وتحطهم حلقة في ودنك، بلاش تنخور في الماضي، لأن الماضي لو اتفتح مرة تانية، إنتَ أول واحد هتندم!

بعد هذه الكلمات الغامضة، أنهى المتصل المكالمة، فحاول «هشام» الاتصال به لكنه اصطدم برسالة صوتية تقول له: «الرقم الذي تحاول الاتصال به مغلق أو غير متاح، يرجى الاتصال في وقت لاحق»، أضافت هذه المكالمة لغزًا جديدًا إلى مجموعة الألغاز التي يحاول «هشام» حلها وكشف غموضها، ونظرًا إلى صعوبة كشف وحل هذا اللغز في الوقت الراهن، قرر «هشام» تنحية هذا اللغز الجديد جانبًا حتى ينتهي من مهمته الحالية، حيث أعاد «هشام» الهاتف إلى جيبه مرة أخرى وواصل السير حتى وصل إلى باب الفيلا، ثم رنَّ الجرس، فجاءه الرد عن طريق «الإنتركم» الصوتي المجاور لجرس الباب، وتحدث شخص إليه قائلًا:

- إنتَ مين؟ وعايز إيه؟

ضغط «هشام» على زر «الإنتركم» ورد قائلًا:

- أنا هشام المليجي ابن خال شريف حلمي، صاحب شركة جولدن إيجل للسياحة، وكنت عايز أقابل البروفيسور كمال علام.

- ممكن حضرتك تسيب رسالة صوتية توضح فيها مشكلتك والموضوع اللي عايز تكلم البروفيسور فيه، والبروفيسور هيبقى يكلمك في أقرب وقت، شكرًا ليك.

بصوت حزين تسيطر عليه خيبة الأمل، تحدث «هشام» قائلًا:

- المشكلة اللي عندي أكبر مما تتخيل، والموضوع اللي عايز أكلم البروفيسور فيه موضوع حياة أو موت، موضوع بنت صغيرة جدًا، هي دلوقتي أهم وأغلى شيء في حياتي، فيا ريت لو البروفيسور موجود خليه يقابلني لأني محتاج له ضروري، أرجوك!

بعد هذه الرسالة المؤثرة، انتظر «هشام» أن يأتيه الرد من الشخص الذي يتحدث إليه عن طريق «الإنتركم»، لكن هذا لم يحدث، فوضع «هشام» نظارته الشمسية على عينيه وبدأ يتحرك ليغادر المكان.

في هذا الوقت، فُتِح باب الفيلا وخرج منه رجل في بداية العقد السادس من العمر، يرتدي روبَ كاروهات، شعره رمادي ناعم مُسرَّح على الجانب الأيمن ويرتدي نظارة طبية ويحمل في يده اليسرى كتابًا وفي يده اليمنى «بايب»، تحدث هذا الرجل إلى «هشام» قائلًا:

- إنتَ مش عايز تقابلني ولا إيه يا أستاذ هشام؟!

التفت «هشام» إلى الخلف وتحدث قائلًا:

- حضرتك البروفيسور كمال علام؟

تبسم البروفيسور «كمال علام» ورد قائلًا:

- أيوه، أنا البروفيسور كمال علام، تعالى ورايا.

تبع «هشام» البروفيسور إلى داخل الفيلا، حيث جذبه تصميم الفيلا من الداخل، فهي تحتوي على تُحَف وآثار شديدة الجمال والغرابة أيضًا، كما أن حوائط الفيلا مرسوم عليها بعض الأشكال والرسومات الغريبة، ومُعلَّق عليها تماثيل لحيوانات محنطة، كرأس ثور ضخم، ورأس آخر لنمر، ووجد أيضًا جسدًا كاملًا محنطًا لحيوان الضب المصري معلقًا على حائط بمفرده، كما لفت انتباهه وجود مكتبة ضخمة تحتوي على الكثير من الكتب.

في هذه الأثناء، تحدث البروفيسور «كمال علام» إلى «هشام» قائلًا:

- تصميم البيت غريب، مش كده؟

رد «هشام» وقال:

- لا بالعكس، أنا شايف إنه جميل ومختلف عن أي بيت أنا دخلته قبل كده.

- لما كنت بدرس بره، اتعلمت إن أهم حاجة في تصميم ديكور البيت إنه يكون بيعبر عن شخصية وفكر صاحب البيت، عشان كده عملت ديكور البيت ده بنفسي، وكنت حريص جدًا في اختيار كل قطعة موجودة فيه، اتفضل اقعد يا أستاذ هشام.

جلس «هشام» على كرسي فوتيه بنفسجي اللون، فيما جلس البروفيسور على الكرسي الفوتيه الآخر المقابل له، ووضع قدمه اليمنى فوق اليسرى، ثم تحدث إلى «هشام» قائلًا:

- قُل لي بقى يا أستاذ هشام، إيه هي مشكلتك بالضبط؟

- مشكلتي تتلخص في الآتي، أنا كان ليَّ أخ وحيد توفي من فترة في حادثة حريق، وللأسف كل أفراد أسرته ماتوا في الحادثة دي، ما عدا بنته الصغيرة، وطبعًا لأن أنا عم البنت وأعتبر أقرب حد ليها في الوقت الحالي، فالبنت جت تعيش معايا، ومن هنا بدأت المشكلة.

- كمل يا أستاذ هشام.

- من ساعة ما البنت جت تعيش معايا وأنا حاسس إن في حاجة فيها مش طبيعية، أوقات بتكون كويسة، وأوقات تانية بتتحول وصوتها بيتغير وبتبقى حد تاني خالص وبتقول كلام مش مفهوم، أنا برضه علشان أكون صريح مع حضرتك، أنا مش مؤمن

بموضوع السحر والشعوذة والكلام ده، بس لما الموضوع زاد عن حده، بقى عندي إحساس إن ممكن تكون البنت فعلًا ممسوسة أو معمول لها سحر، علشان كده جيت لحضرتك.

تبسم البروفيسور «كمال علام» وقال:

- أنا كمان على فكرة مش من الناس اللي بتؤمن بقوة السحر وتأثيره على البشر، وده لأن من خلال دراستي للسحر وأشكاله وأنواعه، عرفت إنه موضوع مش سهل، ده عالم كبير جدًا ومش من السهل على أي إنسان تعلمه، لأن التعامل مع القوى الشيطانية ليه مخاطر كبيرة جدًا، ولو مكانش الشخص اللي بيتعامل مع السحر ده شخص دارس ومتمكن مما يفعل، فالنتيجة هتكون عكسية، وبدل ما يئذي غيره هيئذي نفسه، عشان كده أنا عايزك تطمئن، لو الموضوع ليه علاقة بالسحر والقوى الشيطانية فأنا هقدر أحلهولك، أما لو كان الموضوع ملوش علاقة بالسحر فأنا مش هقدر أساعدك.

- طب لو الموضوع طلع ملوش علاقة بالسحر، مين اللي هيقدر يساعدني؟

أخذ البروفيسور «كمال علام» نفسًا من «البايب» ثم قال:

- ساعتها هيكون عليك إنك تساعد نفسك بنفسك، على العموم ده موضوع سابق لأوانه، قُل لي بقى، إيه أغرب المواقف والأحداث اللي حصلت معاك وخلتك تعتقد إن بنت أخوك معمول لها سحر.

- في مرة جات لي في الحلم، وكان اسمها چورا، وضربتني بالسكينة كذا مرة، ولما صحيت من النوم اتلقيتها واقفة قدامي، ومرة تانية رجعت البيت لقيت الكلبة بتاعتي مدبوحة، وهي كانت واقفة قدام جثة الكلبة وهدومها مليانة دم ومعاها سكينة، وقالت لي إن اسمها مازر، وآخر مرة كانت امبارح، لما كنا في فرح شريف، مرة واحدة النور انقطع عن القاعة كلها، واتلقيتها بتقرب مني وبتقول لي: (أرجوك انقذني، معدش فاضل غير واحد بس)، أنا طبعًا مفهمتش حاجة من كلامها، بس كل الحاجات والمواقف دي خلتني أتأكد بنسبة كبيرة إن چايدا اللي هي بنت أخويا فيها شيء مش طبيعي، وإن فيه قوى غريبة بتتحكم فيها، وإني لازم أنقذها وأحررها من القوى دي بأي شكل وبأي ثمن.

أخذ البروفيسور «كمال علام» نفسًا آخر من «البايب» ثم تبسم وقال:

- أنا معجب بحبك لبنت أخوك، ومعجب أكتر بحماسك وإصرارك على مساعدتها، وإنك مستعد تضحي بأي شيء في مقابل إنك تنقذها من اللي هي فيه، عشان كده أنا هساعدك، أولًا أنا عايزك تعرف إني مؤمن بإن التأثير النفسي والتحكم في النفس البشرية هو أخطر أنواع السحر، هديك مثال، أنا في أول حياتي كنت مفلس، ومكنتش أملك غير خمسين جنيه، المهم، عملت كتاب وطبعته وسميته: (رحلتي من خمسين جنيهًا إلى المليون)، وكتبت فيه أي كلام فارغ، وطبعًا لأن كل الناس عاوزين يبقوا أغنيا ومليونيرات، الكتاب اتباع وعمل إيرادات عالية جدًا، واترجم كمان إلى عدة لغات، تفتكر أنا كده غشيت الناس ولا لأ؟

- حضرتك بتقول إنك كتبت في الكتاب أي كلام فارغ، وإنك استغليت طمع وحب الناس للفلوس وحلمهم في الوصول للغِنى بأقل مجهود، وبِعت الكتاب على هذا الأساس، يبقى أكيد ده غش.

- بس أنا مكدبتش على الناس، لأن أنا فعلًا بقيت مليونير بسبب إيرادات الكتاب، ولغاية دلوقتي الكتاب بيتطبع وبكسب منه، يبقى أنا كده مغشيتش حد، كل الحكاية إني لعبت على العامل النفسي للناس وقدرت أوصل إلى هدفي.

- حضرتك ممكن تكون فعلًا مكدبتش على الناس، بس إنتَ خدعتهم وبعت لهم الوهم على إنه حقيقة، وده في كل الأحوال يبقى اسمه غش.

- تسمح لي أسألك سؤال يا أستاذ هشام؟

- أكيد طبعًا، اتفضل اسأل.

- هو القمر غشاش؟!

- معلش يا بروفيسور، أنا مش فاهم السؤال!

- لا يا أستاذ هشام، إنتَ مستغرب بس مش أكتر، لأن السؤال واضح وبسيط جدًا، أنا بسألك، القمر اللي بينور حياتنا بالليل، غشاش ولا مش غشاش؟

- أكيد طبعًا مش غشاش!

- القمر اللي مش غشاش ده، عبارة عن جُرم سماوي غير مضيء، أو معتم، بيعكس

ضوء الشمس زي المرايا بالضبط، كمان القمر مفيش فيه أكسجين، والجاذبية بتاعته ضعيفة، ومفيهوش أي شكل من أشكال الحياة، ورغم كل ده الناس بتضرب بيه المثل في الجمال والحُسن، وبيعتبروه رمز للجمال، فلو هنتكلم بالعقل والمنطق، يبقى القمر هو كمان غشاش، القمر يا أستاذ هشام استمد جماله وقيمته من خلال اللعب على العامل النفسي للإنسان اللي اعتبر القمر رمز للجمال لمجرد إنه بيظهر وبيضيء ظلمة الليل، عشان كده قُلت لك إن العامل النفسي والتأثير النفسي هو أخطر على الإنسان من السحر ومن القوى الشيطانية.

- كلامك منطقي جدًا يا بروفيسور، بس أنا حاليًا مش مقتنع بإن اللي بيحصل من چايدا ده له علاقة بالتأثير النفسي.

- في الحالة دي يبقى إنتَ جيت لي في ملعبي، السحر بيتفك لو قدرت توصل لمسببات السحر، واللي احنا كمتخصصين ودارسين لعلوم السحر بنسميها (روح السحر).

- معلش، ممكن حضرتك توضح كلامك، لأني مش فاهم حاجة.

- ببساطة كده يا أستاذ هشام، السحر بيتكون من جزءين، الجزء الأول هو الكتاب اللي تم قراءة التعاويذ والطلاسم منه وتم تحضير القوى الشيطانية من خلاله.

- تمام، والجزء التاني؟

- الجزء التاني بيكون عبارة عن بيت، أو حضانة للشيطان، أو الجني اللي تم تحضيره، وده بيكون ليه أشكال مختلفة، زي خاتم أو تماثيل صغيرة أو قلادة، وغيرها حاجات تانية كتير، كلها بتُستَخدم كحصن أو وَكر للشيطان اللي تم استدعاؤه عن طريق السحر.

- والعلاج أو فك السحر بيكون ازاي يا بروفيسور؟

- العلاج بيكون بالحرق، يعني بمجرد إنك تلاقي الكتاب اللي السحر اتعمل منه، وتلاقي البيت أو الشيء الحاضن للشيطان تحرقهم، وبكده هينتهي السحر.

- طب أنا من فترة أخدت قلادة هدية من صديقة إيطالية، وكان منقوش عليها أشكال ورسومات غريبة، وعايز أعرف إذا كانت القلادة دي ليها علاقة بالسحر ولا

لأ، أعمل إيه؟

تبسم البروفيسور «كمال علام» ورد قائلًا:

- الموضوع بسيط، هاتها لي وأنا هعرف لك إذا كانت ليها علاقة بالسحر ولا لأ.

نهض «هشام» من مكانه وقال:

- حيث كده، أنا هوصل البيت عندي أجيب القلادة دي وآجي لك بسرعة.

نهض البروفيسور «كمال علام» هو الآخر وقال:

- معلش يا أستاذ هشام، أنا النهارده عندي مشاغل كتيرة، يا ريت تعدي عليَّ بكرة في نفس المعاد ده، هيكون أفضل، ومين عارف، يمكن خلال الفترة دي أكون وصلت لأي شيء جديد يساعدنا في علاج بنت أخوك.

مد «هشام» يده وصافح البروفيسور «كمال علام» قائلًا:

- أنا شاكر ليك يا بروفيسور على المقابلة اللطيفة دي وعلى مساعدتك ليَّ، إنتَ النهارده إديتني أمل كبير في إني أقدر أعالج بنت أخويا وأخرَّجها من اللي هي فيه، شكرًا ليك يا بروفيسور.

- لا شكر على واجب يا أستاذ هشام، أنا بأقوم بواجبي، وإن شاء الله بنت أخوك حالتها تتحسن وترجع أحسن من الأول.

*****

نحيا في هذه الحياة دون أن نعلم كم سنعيش فيها، وقت الوصول معلوم، لكن وقت الرحيل مجهول، نحب أشخاصًا ونحن نعلم جيدًا بأننا سنفارقهم في يوم ما، ومع ذلك نتصارع ونتشاكس معهم وتتعقد العلاقة بيننا لنجد أنفسنا في نهاية الأمر قابعين داخل دائرة لا منتهية من الضيق والكآبة، وكل هذا راجع إلى جهلنا بموعد الرحيل، فلو كنا نعلم متى نرحل أو متى يرحل عنا من أحببناه لكنَّا تفادينا الكثير المشاكل والصراعات بيننا، ولضاقت دائرة الضيق والكآبة إلى أدنى حد ممكن، ولصارت لحظة الوداع بيننا هي أجمل وأفضل لحظات حياتنا.

في صباح اليوم التالي، جلس المقدم «إيهاب الشيخ» على طاولة الطعام ليتناول

وجبة الإفطار قبل الذهاب إلى عمله، حيث ظلت زوجته الحامل تأتي بالطعام من المطبخ وتضعه على السفرة، فتحدث إليها وهو يمضغ بعض اللقيمات قائلًا:

- كفاية كده وتعالي بقى عشان تفطري.

ردت زوجته من المطبخ وقالت:

- هصب الشاي وآجي على طول.

ظل «إيهاب» يتناول الطعام إلى أن خرجت زوجته من المطبخ حاملة معها صينية بها كوبين من الشاي، حيث وضعتهما على السفرة ثم جلست لتتناول الطعام معه، أخذ «إيهاب» كوب الشاي وبدأ يشرب منه قائلًا:

- أحلى كوباية شاي في الدنيا، الكوباية دي هي اللي بتعدل مزاجي طول اليوم وبتخليني أستحمل الشغل وقرفه.

- ألف هنا وشفا يا حبيبي، حاول تفضي نفسك النهارده بالليل.

- ليه؟

- النهارده معاد الكشف عند الدكتور، واحتمال كبير يحدد معاد الولادة النهارده.

- إنتِ عارفة ظروف شغلي، أنا مليش مواعيد ثابتة، ممكن في أي وقت يستدعوني في الشغل، بس هحاول أفضي نفسي عشان خاطرك.

تحدثت زوجة «إيهاب» وهي في حالة من الضيق قائلة:

- إنتَ عارف إنتَ قُلت لي الكلام ده كام مرة قبل كده؟! أنا من ساعة ما بقيت حامل وإنتَ مروحتش معايا للدكتور ولا مرة، كأني مش مراتك وكأن اللي في بطني ده مش ابنك، إنتَ عايش لشغلك وبس يا إيهاب!

تحدث «إيهاب» بعصبية قائلًا:

- شغلي ده هو اللي بيصرف عليَّ وعليكِ وعلى ابننا، وهو كمان اللي بيدفع تمن الفيزيتا بتاعة الدكتور اللي بتكشفي عندَه، وعشان كده لازم أدي له حقه.

- وأنا فين حقي يا إيهاب؟ ولا مراتك ملهاش حق عندك؟!

نهض «هشام» من على مائدة الطعام وواصل التحدث بعصبية قائلًا:

- مراتى المفروض تكون هي الصدر الحنين والكلمة الطيبة اللي تهون عليَّ تعب الشغل ومرارة الأيام، قبل ما تسألي عن حقك، اعرفي واجباتك الأول.

بعدها غادر «إيهاب» المنزل ثم ركب المصعد الكهربائي كي ينزل إلى بوابة العمارة، حيث تنتظره سيارة الشرطة مثل كل يوم، وصل المصعد الكهربائي إلى بوابة العمارة، فغادر «إيهاب» المصعد لكنه لم يجد سيارة الشرطة تقف أمام البوابة، فتحدث إلى الرائد «أيمن» عبر اللاسيلكي قائلًا:

- إنتَ فين يا أيمن؟

رد «أيمن» وقال:

- معلش يا إيهاب باشا، الكاوتش بتاع العربية فرقع وكنت بغيره.

- قدامك كتير يعني؟

- لا يا فندم، خمس دقائق بالضبط وأكون قدام سعادتك.

في هذه الأثناء، فوجئ المقدم «إيهاب» بدراجة بخارية يستقلها ثلاثة أشخاص ملثمين، أطلقوا وابلًا من الرصاص في اتجاهه، ليسقط المقدم «إيهاب» على الأرض دون حراك.

*****

بعدما قضى الليلة بكاملها يفكر في ما أخبره به البروفيسور «كمال علام»، ظل «هشام» يعد الدقائق والساعات ويتحيَّن شروق شمس اليوم الجديد ليلتقي البروفيسور من جديد ويعرف منه ما إذا كانت لتلك القلادة الغامضة التي أعطته إياها «صوفيا» علاقة بما يحدث لـ«چايدا» أم لا، رغبة «هشام» المُلِحة في معرفة الحقيقة وكشف لغز التصرفات والأفعال الغريبة التي تفعلها «چايدا»، جعله يذهب في الصباح إلى فيلا البروفيسور «كمال علام»، وذلك حسب الميعاد المتفق عليه مسبقًا بينهما.

وصل «هشام» إلى فيلا البروفيسور «كمال علام»، فركن سيارته ثم توجه إلى باب الفيلا، حيث ضرب الجرس وانتظر قليلًا حتى يفتح البروفيسور الباب، لكن انتظار

«هشام» طال، فضرب الجرس مرة أخرى ولكن دون جدوى، فظن أن جرس الباب قد يكون معطلًا أو به مشكلة ما، فطرق الباب بقوة، فإذا به يُفتَح على مصراعيه، هنا بدأ «هشام» يشعر بوجود خطب ما، فتقدم عدة خطوات جعلته يعبر الباب حتى أصبح داخل الفيلا، ثم بدأ في النداء على البروفيسور قائلًا:

- بروفيسور كمال.. يا بروفيسور كمال.. لو حضرتك موجود يا ريت ترد عليَّ!

عدم حصول «هشام» على رد جعله يتوغل أكثر داخل الفيلا، ليصطدم بمشهد مرعب، حيث وجد البروفيسور «كمال علام» مشنوقًا داخل غرفة مكتبه، إذ كان جسده يتدلى في الهواء عن طريق حبل سميك ملفوف بقوة حول عنقه، ويده اليمنى وقدمه اليسرى مقطوعتان، وأحشاؤه تخرج من بطنه في مشهد مرعب ومقزز في آنٍ واحد!

حاول «هشام» التماسك والسيطرة على مشاعره، فعلى الرغم من الفوضى التي كان عليها المكان فإن «هشام» بدأ يتحرك في اتجاه جثة البروفيسور «كمال»، ووسط هذا الكم الكبير من الفوضى والدماء والأشياء المتناثرة في كل مكان، وجد «هشام» كتابًا مُلقًى على الأرض بالقرب من المكتب الخاص بالبروفيسور، وعليه آثار دماء، حيث بدا أن البروفيسور «كمال علام» كان يقرأ في هذا الكتاب قبل وفاته، فاقترب «هشام» من الكتاب وحمله من على الأرض، فسقطت من داخل الكتاب ورقة صغيرة، وضع «هشام» الكتاب على المكتب وانحنى بجسده ليلتقط هذه الورقة، ثم بدأ بقراءة ما فيها: «هشام، اتبَع قانون الموتى، فالخلاص دائمًا في المقابر!».

*****

بينما كان «هشام» يسعى وراء كشف لغز ما يحدث لابنة أخيه، كانت «چايدا» تجلس في المنزل وحيدة تشاهد أحد أفلام الكرتون، وفي تلك الأثناء، جاء صوت من خلفها ينادي عليها قائلًا:

- چايدا.. چايدا!

التفتت «چايدا» إلى الخلف لترى الشخص الذي ينادي عليها، لكنها لم ترَ أحدًا، فعادت إلى متابعة الفيلم الذي تشاهده، لكن الصوت لم يتوقف وعاد لينادي

عليها من جديد قائلًا:

- چايدا.. چايدا!

التفتت «چايدا» مرة أخرى إلى الخلف، وأيضًا لم ترَ أحدًا، لكن هذه المرة وجدت ألعابها والدمى الخاصة بها تصطف خلف بعضها بعضًا، حيث كانت تشكل طابورًا من الألعاب، نهضت «چايدا» وبدأت تتحرك في اتجاه الألعاب، فحدسها كان يخبرها أن هذا الطابور هو مجرد مسار وطريق وضعه لها ذلك الشخص الذي كان ينادي عليها من أجل الوصول إليه، ظلت «چايدا» تتبع مسار الألعاب، وفي منتصف الطريق شعرت «چايدا» بالخوف، فتوقفت عن السير، هنا عاد الصوت ليتحدث إليها من جديد قائلا:

- يلا يا چايدا، اللعبة قربت تبدأ!

رغبة «چايدا» في اللعب جعلتها تعود مرة أخرى لاستكمال طريقها، حيث سارت على خُطى الألعاب حتى وصلت إلى غرفتها، وما إن دخلت «چايدا» إلى الغرفة حتى أغلق الباب بسرعة وقوة كبيرين جعلاها تصرخ من شدة الخوف والفزع.

*****

لم يدرك «هشام» المعنى والمقصد من هذه الرسالة الغامضة التي تركها له البروفيسور «كمال»، لكنه أدرك أن بقاءه في هذا المكان أكثر من ذلك سيسبب له الكثير من المشاكل قد تصل إلى اتهامه بقتل البروفيسور، فوضع الرسالة في جيبه وغادر الفيلا مسرعًا حتى وصل إلى سيارته، وفتح باب السيارة ودخل ثم أغلق الباب، وقبل أن يدير محرك السيارة، بدأ هاتفه المحمول يرن، أخرج «هشام» هاتفه من جيبه فوجد الرقم الذي يتصل به هو نفسه الرقم الغريب الذي اتصل به بالأمس، فرد «هشام» بسرعة قائلًا:

- إنتَ تاني؟ إنتَ عايز مني إيه بالضبط؟!

رد المتصل وقال:

- مش قُلت لك بلاش تنخور في الماضي عشان متندمش، أهو البروفيسور كمال راح ضحية عندك ودماغك الناشفة، اسمعني بقى كويس، لأن دي آخر رسالة

هقولها لك، لو فضلت تنبش في الماضي، الموت هيكون مصيرك ومصير كل اللي هيساعدك.

بعد هذه الكلمات أنهى المتصل المكالمة، فحاول «هشام» الاتصال به ولكنه كالعادة وجد الهاتف مغلقًا، مما جعله يغضب ويتعصب، فألقى هاتفه على الكرسي الذي بجواره بقوة شديدة تسببت في كسر شاشة الهاتف، حاول «هشام» كظم غيظه والهدوء قليلًا حتى يستطيع مواجهة المواقف والأحداث الغريبة التي يمر بها، وبعد أن هدأ قليلًا، أدار محرك سيارته وانطلق مسرعًا.

عاد «هشام» إلى منزله وهو في حالة من السخط والغضب مصحوبة بإحباط شديد، فالألغاز أصبحت تتكالب عليه من كل حدب وصوب كما تتكالب الأسود على قطعة لحم، عاد «هشام» إلى منزله ظنًّا منه أنه سيجد الراحة والسكينة فيه، لكنه لم يكن يعلم أن هناك المزيد من الألغاز والأحاجي في انتظاره.

دخل «هشام» إلى المنزل، فوجد التلفاز يعمل لكن «چايدا» لا تجلس أمامه، كما وجد ألعاب ودمى «چايدا» متناثرة في كل أرجاء الشقة، فشعر «هشام» بوجود شيء ما غريب، وعلى الفور نادى على «چايدا» قائلًا:

- چايدا.. بنت يا چايدا!

لكنه لم يحصل على ردٍّ منها، فزدادت مخاوفه أكثر واندفع في اتجاه غرفة نومها وفتح الباب بسرعة، فإذا به يجد «چايدا» تجلس على سريرها في هدوء تام ترسم وتلون لوحة صغيرة، فتحدث «هشام» إليها قائلًا:

- إنتِ مبترديش عليَّ ليه؟ مش أنا كنت بنادي عليكِ!

ردت «چايدا» وهي تنظر إلى ورقة الرسم قائلة:

- مسمعتش حضرتك وإنتَ بتنادي عليَّ.

- والتلفزيون سايباه شغال ليه؟ مش المفروض بعد ما خلصتي فرجة عليه تقفليه.

واصلت «چايدا» الرد على «هشام» وهي ناظرة إلى ورقة الرسم قائلة:

- أنا آسفة يا عمو هشام، نسيت أقفله.

اهتمام «چايدا» الزائد بالرسمة التي أمامها والذي جعلها لا تنظر إلى «هشام» وهي تتحدث إليه أثار فضوله، فاقترب أكثر ليرى الرسمة التي جذبت اهتمامها إلى هذا الحد، وهنا كانت الصدمة، فقد رأى «هشام» أن الرسمة عبارة عن رسم دقيق ومفصل لما رآه في منزل البروفيسور «كمال علام»، وكأنها صورة فوتوغرافية لما حدث للبروفيسور، فكل شيء رآه «هشام» موجود في هذه الرسمة، بداية من جثة البروفيسور وما بها من تشوه وحتى الكتاب الذي عثر بداخله على الرسالة الغامضة، أمسك «هشام» بالرسمة وتحدث إلى «چايدا» بعصبية شديدة قائلًا:

- إنتِ جيبتي الرسمة دي منين؟ انطقى!

ردت «چايدا» قائلة:

- هو اللي إداها لي.

بتعجب ودهشة تحدث «هشام» قائلًا:

- مين اللي إداكِ الرسمة دي؟!

- مقدرش أقول لك مين.

- ليه؟

- لأن ده سر، ولو قلتهولك اللعبة هتبوظ.

مزق «هشام» الرسمة إلى قطع صغيرة وألقاها على الأرض، ثم تحدث إلى «چايدا»:

- أنا بقى هبوظ لك اللعبة بتاعتك، ويكون في علمك، لو شُفت رسومات زي دي عندك تاني هعاقبك، مفهوم؟

رؤية «چايدا» لرسمتها تُقطَّع وتُرمَى على الأرض بهذا الشكل جعلها تبكي وتتحدث إلى «هشام» قائلة:

- إنتَ وحِش يا عمو هشام، وأنا مبحبكش!

رد «هشام» بعصبية قائلًا:

- إنتِ من النهارده متعاقبة يا چايدا، ولو اتكلمتِ معايا تاني بالأسلوب ده هتضربي.

ثم غادر «هشام» الغرفة وترك «چايدا» تبكي على سريرها، وذهب إلى المطبخ وأعدَّ كوبًا من القهوة يساعده على الاسترخاء ونسيان من حدث له خلال الساعات الماضية، وحين أصبح كوب القهوة جاهزًا، حمله «هشام» وجلس على الأريكة يشاهد كعادته أحد أفلام الكرتون.

في تلك الأثناء، خرجت «چايدا» من غرفتها ووقفت أمام شاشة التلفاز، ثم تحدثت إلى «هشام» قائلة:

- أنا آسفة يا عمو هشام، مش هعمل كده تاني.

رغبة منه في تعليم «چايدا» كيفية التعامل مع الكبار وجعلها تنصاع له ولكلامه، تجاهل «هشام» اعتذارها قائلًا:

- حاسبي يا چايدا من قدام التلفزيون.

هنا فوجئ «هشام» بـ«چايدا» تُلقي بنفسها في حضنه وهي تبكي قائلة:

- عشان خاطري تسامحني، أنا بحبك قوي يا عمو هشام!

وجد «هشام» نفسه ضعيفًا أمام هذه المشاعر الرقيقة، فوضع يده حول «چايدا» وقبلها قائلًا:

- وأنا كمان بحبك قوي يا چايدا!

- يعني خلاص مسامحني.

تبسم «هشام» وقال:

- أيوه يا ستي مسامحك.

قامت «چايدا» بتقبيل «هشام» من خده الأيمن، وأعطته برقيةً تشبه برقيات الأفراح قائلة:

- طالما اتصالحنا، خد بقى البرقية دي.

- فيها إيه البرقية دي؟ اوعي يكون مقلب!

ضحكت «چايدا» وقالت:

- لا متخافش مش مقلب، دي دعوة لحفلة المدرسة اللي بتعملها كل سنة، والسنة دي الميس بتاعتي اختارتني عشان أغني فيها، وأنا عايزاك تحضر العرض وتشوفني وأنا بأغني.

- بس أنا مليش في جو الحفلات ده، كلمي خالتو سارة وخليها تحضر معاكِ.

- أنا كلمتها وقالت لي إنها هتحضر، بس أنا عايزاك إنتَ كمان تكون موجود معايا، عشان خاطري.

- هي الحفلة دي هتكون امتى.

- بكرة بالليل.

تبسم «هشام» ورد قائلًا:

- خلاص يا ستي، هفضي نفسي بكرة بالليل مخصوص علشان خاطرك، مبسوطة؟

عانقت «چايدا» «هشام» وقالت:

- مبسوطة قوي قوي يا عمو هشام، ربنا يخليك ليَّ.

- ويخليكِ ليَّ يا عسل، يلا بقى نكمل الفيلم.

- ماشي.

جلس «هشام» و«چايدا» معًا يشاهدون فيلم الكرتون وهم في حالة من الفرح والسعادة، وزادت هذه الحالة عندما داعبت «چايدا» عمها بإلقاء بعض من الفشار عليه، فرد «هشام» عليها بإلقاء بعض من الفشار عليها، ثم بدأ يداعبها ويدغدغها فتضحك بصوتٍ عالٍ، فتبدلت الأحوال وارتسمت البسمة على وجهيهما وعمَّت السعادة والفرحُ المكان.

*****

الليل هو حليف الشيطان ووقته المفضل، فعندما تغرب الشمس ويحل الظلام، يُطلَق سراح الشيطان وينهض أتباعه من سباتهم ليعيثوا في الأرض فسادًا، فتنقلب الأفراح إلى أحزان ويتحول الجمال إلى قُبح، وتتحول الحياة إلى مكان موحِش يحكمه الأشرار وأصحاب القلوب العفِنة الخبيثة، سواء من بني البشر أو من بَني

الجن.

مع غروب شمس اليوم التالي، ذهب «هشام» مع «چايدا» إلى مدرستها، حيث دخلت «چايدا» إلى إحدى الغرف الموجودة في مسرح المدرسة لتُبدِّل ملابسها وتستعد للصعود إلى المسرح، فيما جلس «هشام» على المقعد المخصص له في المسرح، وقبل بداية العرض، وزَّع العاملون بالمدرسة بعض العصائر والحلوى على أولياء الأمور الحاضرين، شرب «هشام» العصير وأعطى قطعة الحلوى إلى طفل صغير يجلس إلى جواره.

دقائق قليلة وظهرت الفرقة الموسيقية المكونة من أطفال المدرسة على المسرح، ثم تبعتهم «چايدا»، والتي بمجرد ظهورها على المسرح صفَّق الحضور لها، وبالطبع كان «هشام» أكثرهم تصفيقًا وتهليلًا لها، أمسكت «چايدا» بالميكرفون وبدأت تغني بصوت عذب وخلاب، وفي منتصف الأغنية، سكتت «چايدا» وانطفأت جميع أنوار المسرح، وبدأت الفرقة الموسيقية تعزف موسيقى مرعبة، ثم أضاء كشافان، أحدهما مسلط على «چايدا» والآخر مسلط على «هشام»، ومن ثم أشارت «چايدا» بيدها إلى «هشام» وتحدثت إليه قائلة:

- أنا هان، أنا آخرهم، وأنا أقواهم، فأنصت إليَّ جيدًا، لأن هذه هي رسالتي الأخيرة إليك، أنا ملاكُك وأنتَ شيطاني، إذا أذقتني المُر أذقتكَ شهد العسل، وإذا رميتني بالجمر أمطرت عليك وردًا وياسمينًا، إذا أهنتني أكرمتُك، وإذا طلبتَ الموت وهبتُك الحياة، ولكن إذا طلبتَ مني المغفرة فاعلم أنني لن أسامحكَ أبدًا، لأنك قتلت الملاك بداخلي وحولتني إلى شيطان جامح يهوى الشر ويعشق الموت، فتذوق معي طعم انتقام الشيطان الغاضب من أعدائه.

بعدها سقطت «چايدا» على المسرح مغشيًّا عليها، فحاول «هشام» النهوض من مكانه والتحرك لانقاذ «چايدا»، لكنه وجد نفسه غير قادر على النهوض، وكأنه عالق في مكانه وشيء ما يقيده ويمنعه عن النهوض، ظل «هشام» يحاول بكل قوته آملًا في التخلص من هذه القوى التي تعيقه، لكنه فشل، في هذا الوقت، بدأت قواه تضعُف وأصبح يفقد تركيزه وبصره تدريجيًّا، إلى أن فقد الوعي تمامًا وسقط هو الآخر على الأرض مغشيًّا عليه.

الفصل الثامن

«صديقي العزيز ورفيق دربي، سلامٌ عليك، سلامٌ عليك أيها الساكن بين ثنايا القلب والروح، كم أفتقدك، كم أشتاق إليكَ وإلى أوقاتٍ كنا فيها أقرب من أصابع اليد الواحدة، جمعتنا الشدائد وصرنا أقرب وقت اليُسرِ، كنت معي في أحلك الأوقات وعشتُ معك أجمل وأسعد لحظات حياتي، تعلمت منك الكثير وكنتُ فخورًا بأن معلمي وقائدي في العمل هو صديقي المقرب، كنتَ دائمًا القوي وكنتُ في غيابك الضعيف الواهن، فكُن كما كنتَ دائمًا ولا تستسلم للفراق، فضعيف مثلي لا يقوى على العيش دونك، قاوِم من أجلنا، من أجل صداقتنا، من أجل أوقات جديدة نخلدها في ذكرياتنا، أتمنى أن تبقى، أتمنى أن تقاوم، أتمنى لو كان لي من العمر مئة عام لأعطيك منها تسعة وتسعين وأكتفي بعامٍ واحد أحيا فيه بقربك، سأشتاقُ إليك كثيرًا، ولكنني سأظل وفيًّا لذكراك، وسأتذكركَ في كل وقت وحين، وسأسمِّي ابني على اسمك، عساه يكون إنسانًا رائعًا مثلك».

منذ حادثة إطلاق الرصاص على المقدم «إيهاب الشيخ»، حرص الرائد «أيمن صلاح» على زيارة صديقه ومعلمه في المستشفى الذي يمكث فيه ومتابعة الحالة الصحية له، ففي كل يوم يحضر الرائد «أيمن» إلى المستشفى ويظل واقفًا أمام غرفة العناية المركزة ينظر من خلال النافذة الزجاجية إلى صديقه ومعلمه وقائده في العمل وهو طريح الفراش، يُمنِّي النفس بأن تتحسن حالته الصحية ويعود إلى ممارسة حياته الطبيعية مرة أخرى.

في هذه الأثناء، وبينما كان الرائد «أيمن صلاح» يقف أمام النافذة الزجاجية لغرفة المقدم «إيهاب»، فوجئ الرائد بشخص ما يضع يده كل كتفه، فالتفت إلى الخلف ليرى هذا الشخص، فإذا به يجد مساعد الوزير ومعه العديد من قيادات الشرطة، فقدَّم الرائد «أيمن» على الفور التحية العسكرية له قائلًا:

- تمام يا فندم.

رد مساعد الوزير التحية العسكرية ثم قال:

- المقدم إيهاب أخباره إيه دلوقتي يا أيمن؟

رد «أيمن» وقال:

- مفيش جديد يا فندم، حالته صعبة جدًا، والدكاترة بيقولوا إن ممكن في أي لحظة نسمع خبر مش كويس.

- ربنا يكون في عون أهله، المقدم إيهاب واحد من أكفأ وأمهر الضباط في الداخلية، وإنتَ أكيد اتعلمت منه حاجات كتير خلال فترة شغلك معاه، عشان كده في تكليفات جديدة بالنسبة لك.

- تحت أمرك يا فندم.

- أنا زي ما كنت بأثق في المقدم إيهاب، فأنا كمان بأثق فيك، وعارف إنك هتكون قد المسئولية، إنتَ من النهارده هتكون مسئول عن قضية قتل عصام المليجي وعائلته، وكمان هتكون مسئول عن مهمة القبض على هشام المليجي.

بتعجب ودهشة شديدين، تحدث الرائد «أيمن» وقال:

- أقبض على هشام المليجي! ليه يا فندم؟!

- المعلومات الجديدة اللي عندنا أثبتت تورط هشام في معظم الجرائم اللي حصلت الفترة اللي فاتت، واللي كان آخرها حادثة قتل البروفيسور كمال علام، ومش بعيد يكون هو كمان ورا اللي حصل للمقدم إيهاب، وبكده يبقى مهمتك الأولى يا بطل هي القبض على هشام المليجي والتحقيق معاه لمعرفة ملابسات كل القضايا دي، مفهوم؟

- مفهوم يا فندم.

غادر مساعد الوزير المشفى وظل الرائد «أيمن» واقفًا في مكانه ينظر إلى صديقه وهو بين الحياة والموت، واعدًا إياه بأنه لن يرتاح ولن يهنأ له بال حتى يتمكن من القبض على «هشام» والقصاص منه.

*****

وسط ظلمة الليل الموحشة، وجد «هشام» نفسه داخل المدافن حاملًا معه قنديلًا

ينير له قليلًا في هذا الظلام الدامس، ظل «هشام» يسير ببطء وحذَر داخل المقابر يبعث بنظراته يمينًا ويسارًا، عساه يعثر على شيء يفيده ويساعده في الوصول إلى ما يريد، لكن نظرَات «هشام» خيَّبت رجاءه، فلم ترَ سوى قبور على جميع الأشكال والألوان والألواح الرخامية المطبوع عليها أسماء ساكني هذه القبور، إصرار «هشام» وعزيمته ورغبته في كشف المستور أجبروه على أن يكمل طريقه وسط القبور، حتى وصل إلى قبر مكتوب عليه اسم البروفيسور «كمال علام»، فاقترب منه ووجَّه القنديل نحوه.

في هذا الوقت، شعر «هشام» بأنفاس شخص ما تأتي من خلفه، فاستدار على الفور ليرى هوية هذا الشخص، لكنه لم يجِد أحدًا، فراح يحرك القنديل يمينًا ويسارًا لعله يرى أي إنسان، لكنه لم يرَ شيئًا، فعاد لينظر من جديد إلى قبر البروفيسور «كمال علام»، بمجرد أن التفت «هشام» مرة أخرى إلى القبر، رأى جثة البروفيسور المشوهة أمامه مباشرة، فارتعد «هشام» خوفًا مما رأى وسيطرت عليه حالة من الرعب والخوف الشديد، خوف «هشام» جعله يبتعد عن جثة البروفيسور، لكن الجثة لم تتركه وظلت تقترب منه أكثر وأكثر حتى وصلت إلى أذنه، فحدثته قائلة:

- مقابر العائلة، الخلاص في المقابر.

ثم أشارت الجثة بيدها ناحية اليمين، فرفع «هشام» القنديل وصوَّبه في الاتجاه الذي أشارت إليه، فلم يرَ أي شيء جديد، لم يوجد سوى قبور متراصة يمينًا ويسارًا، فعاد «هشام» بنظره إلى الجثة لعله يحصل منها على معلومة أخرى تساعده في الوصول إلى مبتغاه.

الثواني القليلة التي نظر فيها «هشام» إلى اليمين كانت كافية لجثة البروفيسور كي تختفي تمامًا وكأنها لم تكن موجودة، حاول «هشام» البحث عنها في كل اتجاه، لكن دون جدوى، فحمل قنديله أمامه وسار في الاتجاه الذي أشارت إليه الجثة، وظل يسير حتى وصل إلى المقابر الخاصة بعائلته، فوجد رسالة موضوعة على القبر مكتوب فيها: «افتح القبر وستصل إلى ما تريد».

وضع «هشام» القنديل إلى جواره وبدأ يزيح التراب والغبار من على القبر، ثم أزاح غطاء القبر الرخامي ووضعه جانبًا، ثم أمسك بالقنديل ودخل إلى القبر، حيث لم

يجد «هشام» داخل القبر سوى جثة واحدة فقط، وهي جثة أخيه «عصام»، ووجد «هشام» أخاه «عصام» يرتدي بذلة من بذْلاته الفاخرة وممدد على طاولة رخامية طويلة، فاقترب «هشام» منه أكثر وبدأ يتحسسه، وهنا فوجئ بأخيه يفتح عينيه ويتحدث إليه قائلًا:

- انقذ چايدا يا هشام، معادش فيه وقت!

رد «هشام» وقال:

- أنقذها من إيه؟ وازاي؟

رفع «عصام» يده وقال:

- انقذها من اللي واقف وراك!

التفت «هشام» ليرى ما خلفه، فوجد شيطانًا ضخمًا يقف أمامه ويلف يديه حول عنقه ليخنقه، حاول «هشام» المقاومة وإبعاد يد الشيطان من على رقبته، لكنه فشل وبدأت قواه تنهار شيئًا فشيئًا حتى فقد الوعي.

استفاق «هشام» من هذا الكابوس المرعب وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة بالغة كما لو كان قادمًا من مارثون ركض طويل المدى، حاول «هشام» الهدوء وبدأ في تنظيم أنفاسه، ثم راح يبعث نظراته في كل اتجاه سعيًا منه إلى معرفة في أي مكان يوجد هو، الظلام الذي كان يحيط به جعله غير قادر على رؤية ما حوله بشكل جيد، فمدَّ يده اليمنى إلى جواره وبدأ يحركها إلى الأمام وإلى الخلف لعلها تمسك بأي شيء يضيء له هذه الظلمة.

عثرت يد «هشام» أخيرًا على منضدة صغيرة، فاستمر بتحريك يده، ولكن هذه المرة على المنضدة، فأمسكت يده بهاتفه المحمول، فأخذه وقرَّبه منه وبدأ في تشغيل الكشاف ليساعده في رؤية المكان الذي يمكث فيه، أنار كشاف الهاتف الغرفة، فوجد «هشام» نفسه داخل إحدى غرف مشفى طبي، استمر «هشام» في تحريك هاتفه في كل اتجاه، فوجد شخصًا ما ينام على كنبة كبيرة في آخر الغرفة، فحاول مغادرة السرير الذي يجلس عليه والتوجه ناحية هذا الشخص، لكن يد «هشام» اليسرى علِقَت في المحاليل والإبر الطبية المعلقة بها، فنزع تلك المحاليل والإبر وأخرجها من يده، مما جعله يشعر بألم شديد، لكنه استمر في

نزع تلك الأشياء من جسده حتى يتمكن من مغادرة السرير والذهاب إلى الشخص الموجود معه في الغرفة.

بعدما انتهى «هشام» من نزع الإبر والمحاليل الطبية من يده، تحرك في اتجاه الكنبة، وبمجرد وصوله إلى هناك صوَّب كشاف هاتفه ناحية هذا الشخص لكي يتمكن من معرفة هويته، فوجد «هشام» أن الشخص الذي ينام على الكنبة هي «سارة»، فوخزها في كتفها كي يوقظها قائلًا:

- سارة، اصحي يا سارة!

استفاقت «سارة» من النوم وتحدثت إلى «هشام» وهي تتثاءب قائلة:

- هشام! إيه اللي قوِّمك من على السرير؟ وفين المحاليل اللي دكتور ركبها لك؟!

- شيلتها، خلينا نتكلم في المهم، چايدا فين دلوقتي؟ وأخبارها إيه؟

عدلت «سارة» من وضعيتها حيث أنزلت قدمها من على الكنبة وعادت بظهرها إلى الخلف، ثم ردت على «هشام» قائلة:

- چايدا في العناية المركزة، وللأسف حالتها صعبة قوي، الدكتور قال لي إن لو فضلت على الحالة دي كتير ممكن تموت.

وضع «هشام» يده على رأسه من صدمة هذا الخبر السيئ، ثم بدأ يتمتم قائلًا:

- أنا السبب، أنا السبب في كل اللي بيحصل لها، بس أنا مش هسيبه ياخدها مني.

تحدثت «سارة» بدهشة قائلة:

- إنتَ بتقول إيه يا هشام؟ ومين ده اللي عايز ياخد چايدا؟!

رد «هشام» وقال:

- هقول لك لما نوصل، المهم قولي لي، الهدوم اللي أنا كنت لابسها قبل ما آجي المستشفى فين؟

- حاجتك كلها محطوطة في الدولاب، بس إنتَ عايزها ليه؟

تحرك «هشام» ناحية الدولاب وتحدث إلى «سارة» وهو يُخرِج ملابسه قائلًا:

- لأننا هنسيب المستشفى دلوقتي.

- إنتَ بتقول إيه يا هشام؟! إنتَ عارف الساعة كام دلوقتي! وكمان الدكتور قال إنك مينفعش تسيب المستشفى قبل يومين علشان حالتك الصحية متتدهورش ويحصلك مضاعفات.

بعدما انتهى «هشام» من ارتداء ملابسه اقترب من «سارة» وتحدث إليها قائلًا:

- أنا مش مهم، المهم عندي إني أنقذ چايدا وأخلصها من اللي هي فيه، أنا مستعد أدفع حياتي كلها في مقابل إن چايدا ترجع تاني لحالتها الطبيعية وضحكتها ترجع تنور الدنيا من تاني، حياة چايدا أهم عندي مليون مرة حياتي.

تحدثت «سارة» والدموع تترقرق في عينيها قائلة:

- أنا كمان مستعدة أعمل أي حاجة عشان خاطر چايدا، عشان كده أنا هاجي معاك، قُل لي بقى، هنروح على فين؟

تبسم «هشام» وقال:

- هتعرفي لما نوصل، يلا بينا!

غادر «هشام» و«سارة» المستشفى، ونظرًا إلى الحالة الصحية له فقد استقل الاثنان سيارة «سارة»، حيث تولت هي عملية القيادة، فيما اكتفى «هشام» بدور المرشد والموجه لها، إذ لم تكن تعلم إلى أي مكان يريد أن يذهب «هشام».

ظلت «سارة» تتبع تعليمات «هشام» وتسير في الطرق التي يخبرها بها، حتى وصلت إلى المقابر، فطلب منها إيقاف السيارة، فأوقفتها وحدثته قائلة:

- إنتَ وقفتنا هنا ليه يا هشام؟

نظر «هشام» إلى «سارة» وقال:

- لأن هو ده المكان اللي فيه علاج چايدا.

- علاج چايدا هنا في المقابر؟! إنتَ أكيد بتهزر يا هشام!

- لا مش بهزر يا سارة، أنا بتكلم جد، علاج چايدا موجود هنا وأنا لازم ألاقيه بنفسي.

- إنتَ واعي للي إنتَ بتقوله ده يا هشام؟ إنتَ عايز تدخل المقابر بالليل، إنتَ أكيد اتجننت!

فتح «هشام» باب السيارة ثم قال:

- أنا واعي وعارف كويس قوي أنا بعمل إيه، صدقيني يا سارة العلاج موجود هنا.

أمسكت «سارة» بيد «هشام» كي تمنعه من مغادرة السيارة، وتحدثت إليه والدموع تسيل من عينيها قائلة:

- بلاش يا هشام، أنا خايفة عليك، دخولك المقابر في وقت زي ده ممكن يضرك، لو بتحبني بصحيح بلاش تدخل، أرجوك!

وضع «هشام» قبلة على يد «سارة» ثم قال:

- متخافيش عليَّ يا سارة، أوعدك إن مفيش حاجة وحشة هتحصل، صدقيني.

- مصدقاك.

- حيث كده بقى، ممكن تخليني أشوف ضحكتك الحلوة؟

- مش هقدر أضحك وأنا شيفاك رايح برجليك لطريق مجهول، مقدرش أضحك وإنتَ رايح للخطر بنفسك ومش عارفة إذا كنت هترجع لي تاني ولا لأ!

تبسم «هشام» وقال:

- على قد ما أنا عارف إن ممكن نهايتي تكون هنا، على قد ما أنا فرحان وسعيد لأني عرفت دلوقتي قد إيه إنتِ بتحبيني.

ثم غادر «هشام» السيارة وبدأ يسير في اتجاه المقابر، أخرج «هشام» هاتفه المحمول وفتح الكشاف كي ينير الطريق أمامه، ثم سار وسط القبور حتى وصل إلى المقابر الخاصة بعائلته، والتي تشبه من الخارج المنزل الصغير، فحاول فك القفل الذي على باب المقبرة، وفي أثناء محاولته لفتح القفل، فوجئ بضوءٍ يأتي من بعيد، وتبعه صوت قوي يتحدث إليه قائلًا:

- إنتَ مين؟ وإيه اللي جايبك هنا في الساعة دي؟!

أى شخص يوضع في هذا الموقف كان بكل تأكيد سيبلل سرواله من الخوف، لكن إيمانًا «هشام» بأن علاج «چايدا» وخلاصَها في هذا المكان زاد من شجاعته وإقدامه، فأصبح الخوف بالنسبة إليه مجرد كلمة في القاموس وشيء من الماضي لم يعد له وجود في الوقت الراهن، الشجاعة التي أصبح يتمتع بها «هشام» جعلته يرد قائلًا:

- أنا هشام المليجي، ودي المقابر بتاعة عائلتي، إنتَ بقى تبقى مين؟

اقترب الرجل من «هشام» وقال:

- يا مرحب يا أستاذ هشام، أنا عبد الراضي، الخفير بتاع المقابر بتاعتكم، إنتَ مش فاكرني ولا إيه؟

- لا طبعًا فاكرك، ازيك؟ وازي أولادك؟

- الحمد لله على كل حال يا هشام بيه، نحمده ونشكر فضله، مش بعادة يعني يا هشام بيه تيجي المقابر في ساعة زي دي، في حاجة ولا إيه؟!

- أصل في واحد قريبنا اتوفى من شوية، وأنا جيت علشان أشوف المقابر بتاعتنا جاهزة ولا نشوف مقابر تانية ندفنه فيها.

- البقاء لله يا هشام بيه، على العموم اطمن، أنا كل يوم بأدخل أنظف المدفن بتاعكم وبرش ميه وبحط خوص وورد على القبر، يعني المدفن جاهز في أي وقت، تحب تشوف بنفسك؟

- يا ريت.

فتح «عبد راضي» القفل ودخل هو و«هشام»، وقد وجد «هشام» أنه كان صادقًا في كلامه، فتحدث إليه قائلًا:

- الله ينور عليك يا عبد الراضي.

ثم مد يده في جيبه وأخرج بعض النقود وأعطاها إليه قائلًا:

- خد يا عبد الراضي، وإن شاء الله من أول الشهر مرتبك هيزيد.

- ربنا يخليك لينا يا هشام باشا ويبارك لنا فيك.

- ربنا يخليك، ممكن تمشي إنتَ يا عبد الراضي وتسيبني لوحدي؟ عشان عايز أقرأ الفاتحة لأموات العائلة.

- تحت أمرك يا هشام بيه، خلي الكشاف ده معاك علشان ينور لك.

أطفأ «هشام» كشاف هاتفه وأمسك بالمصباح الذي أعطاه إياه «عبد الراضي» ثم قال:

- شكرًا يا عبد الراضي.

انتظر «هشام» حتى غادر «عبد الراضي» المكان ثم وضع المصباح إلى جواره وبدأ في فتح المقبرة، وما إن فتحها حتى عثر على الشيء الذي ظل يبحث عنه طويلًا والذي سيساعده كثيرًا في علاج «چايدا» وإنقاذها من تلك القوى الشيطانية التي تسيطر عليها.

في الخارج، كانت «سارة» تجلس داخل سيارتها وهي في حالة من القلق والخوف على «هشام»، فالحبيب المخلص الصادق في حبه لا يعرف الراحة والطمأنينة ما دام الشخص الذي يهواه يخوض رحلة تحفها المخاطر من كل اتجاه، القلق والخوف الشديدين اللذين كانا يسيطران على «سارة» تبدلا إلى فرح وسعادة بمجرد رؤيتها «هشام» يعود إليها من جديد، فبمجرد دخوله إلى السيارة عانقته «سارة» قائلة:

- الحمد لله إنك رجعت بالسلامة، أنا كنت هموت من الخوف عليك!

- أنا لو كنت أعرف إن أول حضن لينا هيكون في المكان ده، كنت جيبتك هنا من زمان!

- والله العظيم إنتَ رخم ومعندكش دم، وأنا مش هكلمك تاني.

- خلاص يا ستي متزعليشن حقك عليَّ، خلاص بقى ميبقاش قلبك أسود!

- ماشي يا هشام، مسامحاك، قُل لي بقى، لقيت العلاج اللي كنت بتقول عليه؟

- لقيت نصه ولسه النص التاني.

- أنا مش فاهمة حاجة يا هشام.

- أنا هشرح لك، من كام يوم قابلت البروفيسور كمال علام، وده راجل معاه دكتوراه في علم السحر والعوالم الخفية، المهم البروفيسور ده قال لي إن علاج چايدا والسحر عمومًا بيبقى مقسوم نصين، النص الأول في أداة السحر، والنص التاني في الكتاب اللي اتعمل منه السحر، أنا بقى لقيت الخاتم ده في المقبرة بتاعتنا، وزي ما إنت شايفة مكتوب عليه كلام ورموز مش مفهومة، ودلوقتي مفضلش قدامي غير إنَي ألاقي الكتاب اللي اتعمل منه السحر عشان أقدر أفك السحر اللي معمول لچايدا.

- بُص يا هشام، أنا مش مقتنعة بكل الكلام اللي إنتَ بتقوله ده، بس همشي معاك للنهاية، لو لقيت الكتاب اللي إنتَ بتقول عليه ده هتفك السحر ازاي؟ إنتَ بتفهم في فك السحر والأعمال؟

- دي مش مشكلة، لأن البروفيسور قبل ما يموت قال لي إن لو الأداة والكتاب اللي اتعمل منهم السحر اتحرقوا، السحر هيتفك، المشكلة الحقيقية هي إني ألاقي الكتاب اللي اتعمل منه السحر.

في هذه الأثناء، رنَّ هاتف «هشام» المحمول وكان المتصل هو «شريف»، فرد عليه قائلًا:

- ألو، أيوه يا شريف.

- إنتَ فين يا هشام؟ أنا جيتلك المستشفى وملقيتكش!

- أصل أنا سيبت المستشفى.

- أحسن يا هشام، ويا ريت بلاش تروح بيتك ولا تيجي عندي.

- ليه؟ إيه اللي حصل؟!

- أصل...

قبل أن يُكمل «شريف» جملته انقطعت المكالمة، لأن بطارية هاتف «هشام» فرغت من الشحن، فتحدث إلى «سارة» قائلًا:

- ممكن أعمل مكالمة من تليفونك؟

- أيوه طبعًا، اتفضل.

أخذ «هشام» هاتف «سارة» وخرج من السيارة كي يتحدث مع «شريف» بحرية، فاتصل به، وبمجرد أن رد «شريف» على الهاتف، تحدث «هشام» إليه قائلًا:

- أيوه يا شريف أنا هشام، معلش التليفون بتاعي فصل شحن.

- ولا يهمك يا هشام، المهم ركز معايا، أنا عرفت إن في قرار صدر بالقبض عليك وتحويلك للتحقيق، فيا ريت تستخبى اليومين دول في أي مكان لغاية لما الأمور تهدا والحقيقة تبان.

- كده تبقى كملت، چايدا في المستشفى بين الحياة والموت وأنا بقيت مجرم والحكومة بتطاردني، وكل شوية اتكعبل في جريمة قتل، أنا مش عارف بيحصل معايا كده ليه، أنا تعبت بجد ومبقتش قادر أستحمل اللي بيحصل لي.

- ربنا يكون في عونك يا هشام، خلي أملك في ربنا، وإن شاء الله كل حاجة هتتحل وتبقى تمام.

- يا رب يا شريف.

- خلي بالك من نفسك يا هشام، وأنا هبقى أكلمك أطمن عليك، سلام.

- سلام.

بعدما انتهت المكالمة، عاد «هشام» إلى السيارة، فتحدثت إليه «سارة» قائلة:

- قُل لي بقى، هنطلع على فين؟

عاد «هشام» بظهره إلى الخلف ورد قائلًا:

- مش عارف، أنا دلوقتي بقيت مجرم والحكومة بتطاردني، تفتكري مجرم زيي ممكن يستخبى فين؟

تبسمت «سارة» وقالت:

- ولا يهمك يا هشام، أنا عندي شقة صغيرة في المعادي كنت عايشة فيها لحد فترة قريبة، ممكن تقعد فيها، ومتقلقش خالص، الشقة متوضبة وفيها كل حاجة، يعني

شقة تليق بمجرم محترم زيك!

تبسم «هشام» وقال:

- ربنا يخليكِ ليَّ يا سارة، أنا مش عارف من غيرك كنت هعمل إيه!

تبسمت «سارة» وقالت:

- كان زمانك قاعد مع المجرمين والحرامية وأنا بزورك وجايبة لك معايا عيش وحلاوة.

- هههههه، طب يلا يا لِمضة اطلعي بينا على الشقة اللي بتقولي عليها دي، بسرعة لأن أنا تعبان قوي وعايز أنام.

*****

في الصباح، كان «حسام» يتابع عمله كمدير ورئيس شركة «عصام المليجي»، فمنذ أن أسند «عاصم الدسوقي» مهمة إدارة الشركات والمصانع التي كان يملكها «عصام المليجي» إلى نجله «حسام»، وهو لم يُقصِّر في تلك الأمانة، ففي كل صباح، يذهب «حسام» إلى الشركات ويتابع سير العمر فيها بنفسه، مهمة الرئيس الجديد لمجموعة شركات «عصام المليجي» جعلت «حسام» مشغولاً طوال الوقت إلى درجة أنه لم يعد يرى والده إلا صدفة، حتى في المنزل لا يتقابلان، فلكل واحد منهما مواعيد مختلفة عن الآخر تمامًا.

بينما كان «حسام» يجلس على مكتبه الفخم يباشر عمله داخل إحدى الشركات الكبرى التي كان يملكها «عصام المليجي»، إذا به يُفاجأ بوالده يدخل عليه المكتب، فنهض «حسام» على الفور وتحدث قائلًا:

- بابا، إيه الزيارة المفاجئة دي؟ مش كنت قُلت لي إنك جاي تزورني النهارده كنت فرشت لك الشركة كلها ورد.

- أنا قُلت طالما إنتَ بقيت رجل أعمال ومشغول طول الوقت، آجب أنا بقى بنفسي عشان أزورك.

- إنتَ تنور في أي وقت يا سيد الكل.

بغروره وكبريائه الشديد، تحرك «عاصم الدسوقي» وجلس على الكرسي الذي كان يجلس عليه «حسام» ووضع إحدى قدميه فوق الأخرى، ثم تحدث إلى «حسام» قائلًا:

- طبعًا إنتَ مش هتمانع لو قعدت على الكرسي بتاعك، مش كده ولا إيه؟

- أكيد طبعًا، ده الكرسي يزيد شرف بجلوسك عليه.

ضحك «عاصم الدسوقي» وقال:

- طول عمرك بكَّاش يا حسام! المهم قُل لي، عامل إيه في الشغل؟

- ماشي الحال، كان في قرار كده كنت عايز آخده بس كنت عايز آخد رأيك فيه الأول.

أخذ «عاصم الدسوقي» نفسًا من السيجار ثم نفخ دخانه في الهواء ومن ثم تحدث قائلًا:

- قرار إيه اللي إنتَ عايز تاخد رأيي فيه يا حسام؟

- بصراحة يا بابا، أنا كنت بفكر أطرد عادل الخولي من الشغل.

- ليه؟

- بدأ يطمع فينا وبقت طلباته كتير، فاكر إنه علشان ساعدنا، خلاص هيبقى واحد منا وهيقاسمنا في كل حاجة.

- وإنتَ عايز رأيي ليه؟! إنتَ دلوقتي المدير هنا، وتقدر تشغَّل اللي إنتَ عايزه وترفد كمان اللي إنتَ عايزه.

- يعني حضرتك مش هتزعل من أي قرار أنا هاخده.

أخذ «عاصم الدسوقي» نفسًا آخر من السيجار ثم قال:

- لأ طبعًا مش هزعل، بس لو عايز نصيحتي، بلاش تطرد عادل.

- ليه؟!

- عادل ده عامل زي شعلة النار في عز البرد، لو قربت منها قوي تحرقك، ولو بعدت عنها خالص تسقع وتحس بالبرد، حلها الوحيد إنك تخلي بينك وبينها مسافة معقولة، بحيث إنها متحرقكش وفي نفس الوقت تقدر تستفيد من دفئها، فهمت؟

- فهمت.

نهض «عاصم الدسوقي» من على المكتب، فتحدث إليه «حسام»:

- رايح فين يا بابا؟ إنتَ حتى لسه مشربتش حاجة؟

- معلش يا حسام، عندي كذا مشوار لازم أعملهم.

- طب بالنسبة لهشام، مقولتليش، ناوي تعمل معاه إيه الفترة اللي جاية؟

أخذ «عاصم الدسوقي» نفسًا عميقًا من السيجار ثم قال:

- هشام خلاص نهايته قربت، وقريب قوي هينتهي وهنرتاح منه للأبد.

*****

الإرهاق والإعياء الشديدين اللذين كان يعاني منهما «هشام»، أجبراه على النوم إلى ما بعد الظهيرة، ففي الشقة الخاصة بـ«سارة» وعلى سرير ناعم كالحرير، أمضى «هشام» الفترة المتبقية من الليل وأجزاء كبيرة من النهار نائمًا في هدوء وسكينة، إلى أن اقتربت الساعة من الثانية ظهرًا، ففي ذلك الوقت، بدأ هاتف «هشام» المحمول يرن، متعة النوم واحتياج «هشام» إلى نيل قسطٍ من الراحة جعله يتجاهل هذا الاتصال في بدء الأمر، ولكن مع تكرار عملية الاتصال، وجد «هشام» نفسه مجبرًا على الاستيقاظ من سباته والرد على الهاتف.

مد «هشام» يده إلى المنضدة التي على يمينه وأخرج شاحن الموبايل من هاتفه المحمول حتى يُقرِّب الهاتف منه ويتمكن من الرد على المكالمة بحرية أكثر، رد «هشام» على المتصل وهو مغلِق عينيه قائلًا:

- ألو، مين معايا؟

رد المتصل قائلًا:

- أنا سعاد، الدادة بتاعة چايدا، إنتَ مش فاكرني ولا إيه يا هشام بيه؟

- لا ازاي طبعًا فاكرك، خير يا سعاد، فيه إيه؟

- أكيد يا هشام بيه حضرتك عارف غلاوة عصام بيه الله يرحمه والست دينا مراته عندي قد إيه، وأكيد حضرتك عارف أنا بحب چايدا وبعزها قد إيه.

- عارف كل الكلام ده، وعارف إن لحم اكتافك إنتِ وجوزك من خير أخويا عصام، يا ريت بقى تخشي في الموضوع على طول لأن أنَا تعبان وعايز أنام.

- حاضر يا هشام بيه، هدخل في الموضوع على طول، من حوالي ساعة بالضبط، روحت أجيب العيال من المدارس، وأنا راجعة شُفت عاصم بيه أبو الست دينا الله يرحمها عندنا في الحارة.

هنا نهض «هشام» من على السرير ووضع مخدة خلف ظهره كي يستطيع التركيز أكثر مع «سعاد»، ومن ثم تحدث قائلًا:

- غريبة! إيه اللي هيجيب واحد زي عاصم ده عندكم في الحارة؟!

- أنا كمان استغربت من الموضوع ده، وفضلت أسأل وأتطقس لغاية لما عرفت إنه كان جاي يشتري حاجات من عند عطار عندنا في الحارة.

- ومعرفتيش إيه هي الحاجات اللي عاصم اشتراها من عند العطار ده؟

- العطار ده يعرفني من زمان، عشان كده روحت وسألته، قال لي إن عاصم بيه اشترى منه أعشاب وبخور وحاجات تانية كلها جاية من المغرب، وكلها بتُستَخدم في مواضيع السحر والأعمال، وكمان قال لي إن دي مش أول مرة عاصم بيه يشتري منه الحاجات دي، ده بقاله أكثر من سنة بيشتري منه.

- أنا متشكر ليكِ يا ست سعاد على المعلومات المهمة دي، وإن شاء الله هيكون ليكِ عندي مكافَأة كبيرة.

- متقولش كده يا هشام بيه، ده إنتوا خيركم مغرقني أنا وجوزي وعيالي من ساسنا لراسنا، ربنا معاك وينصرك على الظالم قادر يا كريم.

بعد انتهاء المكالمة، أراد «هشام» إخبار هذه المعلومات الهامة التي حصل عليها للتو لشريكته «سارة»، فاتصل بها عدة مرات، لكنه وجد هاتفها مغلقًا، فنهض على

الفور من على السرير وبدأ في ارتداء ملابسه، ومن ثم غادر المنزل وهو يُمنِّي النفس بأن تكون المعلومات التي حصل عليها للتو سببًا في حل جميع الألغاز التي طاردته منذ العودة إلى القاهرة، وأن تكون هذه المعلومات سببًا في علاج چايدا وعودتها إلى حالتها الطبيعية.

*****

السعي المستمر والركض الدائم خلف عدوك من أجل الثأر منه وتحقيق القصاص كي تشفي نار قلبٍ مكلوم يجعلك تفقد كثيرًا من إنسانيتك وعقلك، فالرغبة في نيل الثأر بأي شكلٍ وبأي ثَمن يُحوِّلك إلى وحشٍ أعمى مُبرمَج على تحقيق هدفٍ واحدٍ فقط، وهو الانتقام.

منذ صدور قرار ضبط وإحضار «هشام» بصفته متهمًا أساسيًّا في جميع الحوادث التي وقعت طيلة الفترة الماضية، أصبحت مهمة القبض على «هشام» هي الشغل الشاغل للرائد «أيمن صلاح»، كما أن سعيه من أجل القصاص والانتقام لزميله وقائده في العمل المقدم «إيهاب»، زاد من رغبته وعزيمته في القبض على «هشام» وتحويله للمحاكمة، رغبة وعزيمة الرائد «أيمن» لم تكن كافية له للوصول إلى مبتغاه، فخلال الأيام الماضية فشل في تحقيق مراده، فهو لم يتمكن من القبض على «هشام» على الرغم من سعيه الدؤوب خلفه واقتحام وتفتيش جميع الأماكن التي يمكن أن يوجد فيها، وفشله في مهمته جعله يشعر بالحزن والضيق، نظرًا إلى أنه خيَّب أمل ورجاء قائده ومعلمه المقدم «إيهاب»، وذلك لأنه لم يستطع حتى الآن القصاص والانتقام من الشخص الذي شرع في قتل أعز وأقرب أصدقَائه.

شعور الرائد «أيمن» بالحزن والفشل في مهمته جعله يذهب في المساء لزيارة صديقه «إيهاب»، وكالعادة وقف «أيمن» أمام النافذة الزجاجية الكبيرة لغرفة المقدم «إيهاب» وظل يبعث بنظراته إلى صديقه وكأنه يحاوره ويتناقش معه ويشكو له بأسه وحزنه.

في هذا الوقت، رن هاتف المحمول للرائد «أيمن»، فأخرجه من جيبه ورد على الرقم الغريب الذي يتصل به قائلًا:

- ألو!

رد المتصل وقال:

- أخبار المقدم إيهاب إيه دلوقتي؟

- إنتَ مين؟ وعايز إيه بالضبط؟

- أنا الشخص اللي إنتَ بتدور عليه وعايز تنتقم منه.

- هشام! ورحمة أمي يا هشام ما هسيبك، حتى لو روحت آخر الدنيا هفضل وراك، ومش هرتاح غير لما أقبض عليك وأحط الكلابشات في إيديك.

- يا سيادة الرائد، أنا لا هروح آخر الدنيا ولا ههرب منك تاني، بالعكس، أنا بتصل بيك عشان أسلم نفسي لو ده كان هيريحك ويشفي غليلك، أما بقى لو سعادتك عايز تنتقم لصاحبك وصديق عمرك من الجاني الحقيقي، يبقى في كلام تاني.

- إنتَ عايز تقول إيه بالضبط؟!

- عايز أقول لك إن مش أنا المجرم الحقيقي.

- أُمال مين المجرم الحقيقي؟

- المجرم الحقيقى هو عاصم الدسوقي، ولو سعادتك عايز تتأكد من الموضوع ده بنفسك، قابلني كمان نص ساعة قدام فيلا عاصم الدسوقي، وأنا هثبتلك إن كلامي صح.

- ولو طلع كلامك غلط؟

- ساعتها اقبض عليَّ، يعني إنتَ كده كده هتطلع كسبان، ومش هترجع القسم بإيدك فاضية، يا إما هترجع ومعاك عاصم الدسوقي، يا إما هترجع وأنا معاك، أظن صفقة متتعوضش.

- وأنا موافق عليها، نص ساعة بالضبط وهكون عندك.

*****

داخل فيلته، كان «عاصم الدسوقي» يجلس مع نجله «حسام» يتناولان وجبة

العشاء معًا، وفي هذا الوقت، رن جرس الفيلا، فذهب أحد العاملين لفتح الباب، وبعد عدة ثوانٍ سمع «عاصم الدسوقي» و«حسام» صوت مشاجرة ومشاحنة داخل الفيلا، فنادى «عاصم» على كبير الخدم وقال له:

- فيه إيه؟ إيه اللي بيحصل في الفيلا؟ وإيه صوت الزعيق والخناق اللي أنا سامعه ده؟

فرد الخادم قائلًا:

- فيه ضابط ومعاه شوية عساكر عايزين يقابلوا حضرتك، ولأن حضرتك مانع الزيارات بالليل ومأكد على البودي جاردات ميسمحوش لأي حد بدخول الفيلا بالليل، فحصلت بينهم وبين رجال الشرطة مشكلة.

- طب روح إنتَ وأنا هتصرف.

توجه «عاصم» ناحية باب الفيلا ثم أمر حرسه الشخصي بالابتعاد، ومن ثم تحدث إلى الرائد «أيمن» قائلًا:

- إنتَ مين؟ وعايز إيه؟

رد الرائد «أيمن» وقال:

- أولًا، أنا آسف على الزيارة المفاجئة دي، وخصوصًا إنها في وقت متأخر من الليل، ثانيًا، أنا الرائد أيمن صلاح، وجاي هنا في مهمة رسمية.

- وتطلع إيه المهمة الرسمية دي يا سيادة الرائد؟

- عندي أوامر بتفتيش الفيلا، وده إذن النيابة علشان حضرتك تتأكد من سلامة الإجراءات.

أمسك «عاصم» إذن النيابة وراح يتفحصه، ثم نظر إلى الرائد «أيمن» وقال:

- اتفضل يا سيادة الرائد شوف شغلك، الفيلا كلها تحت أمرك.

هذا القرار لم يكن على هوى «حسام»، والذي استاء كثيرًا من ردِّ فعل والده، فتحدث إلى الرائد «أيمن» ورجاله قائلًا:

- إنتوا عارفين إنتوا عاوزين تفتشوا بيت مين؟! أنا ممكن بتليفون واحد أقلعكوا البدل الميري بتاعتوا دي وألبسكوا مكانها جلاليب!

ثم نظر إلى والده وقال:

- وإنتَ ازاي تسمح لهم يفتشوا بيتنا؟! هو احنا خلاص بقينا ملطشة لكل من هب ودب!

نهر «عاصم الدسوقي» ولده «حسام» وقال:

- اخرس خالص ومتتكلمش ولا كلمة زيادة يا حسام، وإلا إنتَ عارف أنا ممكن أعمل إيه!

ثم نظر إلى الرائد «أيمن» وقال:

- اتفضل يا سيادة الرائد شوف شغلك.

دخل الرائد «أيمن» ومعه «هشام» ومجموعة من رجال الشرطة، وبدأوا في تفتيش وتمشيط الفيلا بالكامل، وفي هذا الوقت، كان «هشام» يحاول الاتصال بـ«سارة» آملًا في مساعدته للوصول إلى ما يبحث عنه، لكنه وجد هاتفها لا يزال مغلقًا، فبدأ يشعر بالقلق، وزاد هذا القلق أكثر عندما عاد رجال الشرطة بخُفَّي حنين، فهم لم يعثروا على أي شيء غريب أو له علاقة بالقضية داخل الفيلا، عدم عثور رجال الشرطة على أي شيء مريب أو دليل إدانة «عاصم الدسوقي» وولده «حسام» في القضايا السابقة، جعل الرائد «أيمن» يشعر بالإحراج، فتحدث إلى «هشام» قائلًا:

- أظن الموضوع كده اتحسم يا هشام، ومعادش فيه داعي لوجودنا في المكان ده!

رد «هشام» وقال:

- معاك حق يا سيادة الرائد، بس لو تسمح لي، أنا حاسس إن فيه حاجة غريبة هنا، وخصوصًا إن سارة موبايلها مقفول من أول اليوم، ممكن نفتش تاني؟ أنا واثق إننا هنوصل لحاجة ودليل قوي يأكد صدق كلامي.

رد الرائد «أيمن» وقال:

- هنفتش فين تاني يا هشام؟! ما احنا فتشنا الفيلا كلها من بره ومن جوه

وملاقيناش حاجة.

راحٍ «هشام» يبعث بنظراته في جميع أرجاء الفيلا، ثم تحدث إلى الرائد «أيمن» قائلًا:

- ممكن نفتش أوضة المكتب؟

رد «أيمن» وقال:

- ما الرجالة دخلت أوضة المكتب وفتشتها وملاقوش حاجة.

- معلش يا سيادة الرائد، نفتشها تاني، اعتبر ده آخر طلب ليَّ، ولو ملاقيناش حاجة، تقدر ساعتها تحط الكلابشات في إيدي.

- ماشي يا هشام، أنا همشي معاك للآخر.

دخل الرائد «أيمن» ومعه «هشام» وبعض رجال الشرطة بالإضافة إلى «عاصم الدسوقي» وولده «حسام» إلى غرفة المكتب الكبيرة الخاصة بـ«عاصم»، والتي تحتوي على مكتبة كبيرة بها العديد من الكتب على اختلاف أشكالها وأنواعها، بدأ رجال الشرطة يفتشون الغرفة ولكنهم أيضًا لم يعثروا على أي شيء مُلفِت للنظر أو دليل إدانة لـ«عاصم الدسوقي» ونجله.

في هذا الوقت، وقع نظر «هشام» على أحد الكتب الموجودة بالغرفة، وكان اسمه «قانون الموتى»، فتذكر «هشام» الرسالة التي تركها له البروفيسور «كمال علام» والتي تقول: «اتبع قانون الموتى، فالخلاص دائمًا في المقابر!».

فسحب «هشام» على الفور هذا الكتاب من على الرف، وهنا كانت المفاجأة، حيث وجد خلف هذا الكتاب زرًّا مخفيًّا، فضغط عليه لينفتح باب سري بالغرفة يقود إلى قبو معتم، فشغَّل «هشام» ومعه الرائد «أيمن» كشافات هواتفهما المحمولة، ونزلا معًا إلى القبو، حيث وجد «هشام» داخله الكثير من الأشياء والرموز التي تستخدم في السحر، كما أنهما وجدا «سارة» تجلس على كرسي ومقيدة من الخلف، ففكَّ «هشام» قيودها على الفور وراح يحتضنها لتهدئتها، هنا تحدث الرائد «أيمن» إلى «هشام» قائلًا:

- أظن كده مهمتنا انتهت وعرفنا مين اللي كان ورا كل اللي بيحصل ده.

رد «هشام» وقال:

- لأ، لسه يا سيادة الرائد.

- لسه إيه تاني؟!

أخرج «هشام» ورقة من جيبه وأعطاها إلى الرائد «أيمن» وقال:

- الورقة دي عبارة عن عقد زواج عرفي بين حسام الدسوقي ومها العاصي، وأنا بصراحة مكونتش عايز أقدمها لك غير لما أتاكد من إن عاصم وحسام هما اللي ورا كل الجرائم اللي حصلت خلال الفترة اللي فاتت.

أخذ «أيمن» الورقة وقال:

- فيه حاجة تانية ولا نمشي بقى؟ لأن المكان هنا ريحته صعبة قوي!

- فيه حاجة أخيرة.

- إيه هي؟

- لازم ألاقي الكتاب اللي اتعمل منه السحر عشان أقدر أفك السحر اللي معمول لچايدا، وبصراحة كده أنا عندي إحساس إني هلاقي الكتاب ده هنا.

راح «هشام» و«سارة» ومعهما الرائد «أيمن» يفتشون القبو بحثًا عن هذا الكتاب الملعون، وداخل مدفأة قديمة بالقبو، عثرت «سارة» على كتاب قديم اسمة «المقابر»، وفهم «هشام» ما كان يقصده البروفيسور من جملة: «الخلاص في المقابر»، وعلى الفور أخذ الكتاب والخاتم الذي عثر عليه في قبر أخيه «عصام» وأشعل النار داخل المدفأة القديمة الموجودة بالقبو، وألقى بالكتاب والخاتم في النار، وانتظر حتى التهمتهما النار تمامًا، بعدها غادر «هشام» و«سارة» والرائد «أيمن» القبو وتم القبض على «عاصم الدسوقي» ونجله «حسام» وإيداعهما في السجن.

*****

كيف لكائن صغير ضئيل الحجم خُلِق من العدم أن يأسر روحك ويغير حياتك ويجعلك تهيم على وجهك؟ كيف لقلب صغير ووجه ملائكي أن يجعلك تغزو

العالم من أجله دون خوف ولا رهب؟ كيف لطفلة لا يتجاوز عمرها عدد أصابع يديك أن تقهر مارد الفساد بداخلك وتجعلك إنسانًا نقيًّا وكأنك وُلِدت من جديد؟

أسئلة كثيرة تعبث داخل عقل «هشام»، ولكن يبقى السؤال الأهم والأصعب، هو كيف لا تضحي بسعادتك في مقابل إسعاد من منحكَ كل هذه المشاعر والأحاسيس الرائعة؟

حرق الكتاب والخاتم وإبطال السحر جعل حالة «چايدا» الصحية تتحسن وتعود إلى حالتها الطبيعية، وجعلها تترك المستشفى وتعود من جديد إلى منزل «هشام»، والذي كان احتفاله بعودة «چايدا» إليه غريبًا نوعًا ما، فبمجرد عودة «هشام» و«چايدا» إلى المنزل، دخل «هشام» على الفور إلى غرفة «چايدا» وبدأ يجمع أغراضها، فاقتربت منه «چايدا» وتحدثت إليه قائلة:

- إنتَ بتعمل إيه يا عمو هشام؟

رد «هشام» بصوت حزين قائلًا:

- بحضَّر شنطة هدومك.

- ليه؟

- علشان إنتِ لازم تمشي، رحلتنا مع بعض خلاص خلصت، وجه الوقت عشان تبدأي رحلة جديدة مع حد تاني غيري.

اقتربت «چايدا» وأمسكت بيد «هشام» وقالت:

- بس أنا عايزة أعيش معاك إنتَ.

- مينفعش يا چايدا، أنا لازم أرجع شرم عشان شغلي هناك، وكمان إنتِ محتاجة حد يرعاكِ وياخد باله منك، وأنا مش هقدر أعمل كده، عشان كده إنتِ هتروحي تعيشي مع خالتو سارة.

تحدثت «چايدا» والدموع تسيل من عينيها قائلة:

- بس أنا خايفة، ومش عايزة أروح الفيلا بتاعة جدو عاصم دي تاني!

نزل «هشام» على ركبتيه ثم أمسك بيدي «چايدا» وقبلهما قائلًا:

- متخافيش يا چايدا، من النهارده معادش فيه حاجة هتخوفك، جدو عاصم وخالو حسام الحكومة قبضت عليهم، يعني معادش فيه حد تاني هيضايقك.

ارتمت «چايدا» في حضن «هشام» وتحدثت وهي تبكي قائلة:

- هتوحشني قوي يا عمو هشام.

ضمَّ «هشام» «چايدا» إليه أكثر، وتحدث والدموع تترقرق في عينيه قائلًا:

- وإنتِ كمان هتوحشيني قوي يا سمو الأميرة.

*****

آخر شعاع يخرج من الشمس وهي تعانق حضن السماء عند الغروب هو الأجمل، آخر قطفة في موسم الحصاد هي الأنضج والألذ مذاقًا، أخر قطرة من الندى هي الأنقى، آخر رشفة من القهوة هي الأروع والأكثر سحرًا، آخر دمعة في عناق المحبين قبل الفراق هي الأصدق، آخر رحيق للزهرة هو من يصنع شهد العسل... النهايات دائمًا ما تكون هي الأروع والأفضل، حتى وإن كانت قاسية في بعض الأحيان، إذ تبقى أكثر اللحظات العالقة في أذهاننا، فإذا لم تكن لحظاتك الأخيرة في هذه الحياة هي الأجمل والأروع بالنسبة إليك، فاعلم أن حياتك ضاعت هباءً.

بعدما جمع «هشام» متعلقات «چايدا»، اصطحبها معه إلى فيلا «عاصم الدسوقي» كي يُسلِّمها إلى «سارة»، والتي ستكون من الآن هي المسئولة عن رعاية «چايدا» والاهتمام بها.

استقبلت «سارة» «چايدا» استقبالًا حارًّا، حيث احتضنتها وقبلتها، هنا شعر «هشام» بأنه قد أدى مهمته على أكمل وجه، وأن وقت الرحيل قد حان، فتحدث إلى «سارة» قائلًا:

- دي الشنط بتاعة چايدا، فيها كل حاجتها، طبعًا أنا مش هوصيكِ عليها، لأن أنا عارف إنتِ بتحبيها قد إيه، إنتِ دلوقتي بقيت كل حاجة بالنسبَة لچايدا، أمها وأبوها وخالتها، بقيتِ كل عيلتها، وأنا عارف ومتأكد إنك قد المسئولية دي، وعارف برضه إنك هتقدري تعوضي چايدا عن الأيام الصعبة اللي عاشتها الفترة اللي فاتت، عشان كده أنا همشي وأنا مطمن إن چايدا أخيرًا هتعيش في أمان.

ردت «سارة» بصوت حزين:

- أنا محترمة قرارك ورغبتك في إنك تسيب لي چايدا عشان أرعاها وآخد بالي منها، بس أنا هطلب منك طلب أخير قبل ما تمشي.

- اطلبي أي حاجة إنتِ عايزها يا سارة، أنا تحت أمرك.

- بلاش تبعد عنا تاني، لأنك بقيت دلوقتي جزء كبير ومهم من العائلة، ولأن أنا وچايدا بقينا محتاجين لك دلوقتي أكتر من أي وقت فات.

- أوعدك إني مش هبعد عنكم تاني، وإني هاجي أزوركم باستمرار، لأن إنتوا بقيتوا كل عيلتي.

ثم أعطى «هشام» «سارة» هديةً كتذكارٍ منه للأوقات الرائعة التي قضياها معًا، حيث قال:

- أتمنى إنك تقبلي مني الهدية البسيطة دي كتذكار للفترة الحلوة اللي عشتها معاكِ.

فتحت «سارة» الهدية، فوجدتها عبارة زجاجة عطر فاخرة من نوع «كوكو شانيل»، وهو العطر المفضل والمحبب لها، فتحدثت إليه وعيناها تملأهما الدموع قائلة:

- حتى البرفيوم اللي بحبه لسه فاكره منسيتهوش!

تبسم «هشام» وقال:

- قُلت لك قبل كده، أنا عمري ما أنسى أي حاجة إنتِ بتحبيها، لأن الحاجات اللي إنتِ بتحبيها محفوظة في قلبي مش في عقلي.

بعدها طبع «هشام» قبلةً على رأس «سارة» وأخرى على رأس «چايدا»، ثم غادر المكان، ولكنه لم يغادره كما جاء إليه، إذ قد ترك فيه جزءًا هامًّا منه، لقد غادر «هشام» ولكن قلبه بقيَ في هذا المكان، فهل سيعود مرة أخرى إليه كي يستعيد قلبه أم أنه سيُمضي ما تبقى له في هذه الحياة دون قلب؟!

عاد «هشام» إلى منزله وهو يشعر بنقصٍ كبير، فدون «چايدا» تحول البيت إلى مقبرة للموتى، لا حركة ولا لهو ولا لعب ولا ضحك ولا فرحة، الأشياء الجميلة كلها

رحلت مع رحيل هذه الطفلة الشقية، ولم يتبقَّ لـ«هشام» سوى بعض الصور وكثير من الذكريات التي لم ولن تُمحَى من ذاكرته.

منذ أن عاد «هشام» إلى منزله وهو يشعر بالوحشة وكأنة أصبح غريبًا في بيته، لأول مرة في حياته يشعر بالوحدة وبات الآن يعرف قيمة العائلة، وتذكَّر كلمات أخيه «عصام» عن العائلة وأهمية الترابط والتواصل بين أفرادها.

في هذا الوقت، حاول «هشام» التحكم في مشاعره ونسيان حنينه وشوقه إلى «چايدا»، فجلس على أريكته الكبيرة وشغَّل التلفاز وظل يقلب بين قنوات الكرتون التي يهوى متابعتها حتى وجد فيلمه المفضل «شركة المرعبين المحدودة»، فوضع ريموت التلفاز جانبًا وراح يشاهد الفيلم، كان يأمل «هشام» في أن يُنسيه هذا الفيلم التفكير في «چايدا» والحنين إلى وجودها معه، لكن ما حدث كان العكس تمامًا، فقد جعله هذا الفيلم تحديدًا يتذكر «چايدا» كثيرًا ويتذكر جميع الأوقات واللحظات الرائعة التي قضاها معها، فأمسك بالريموت وأغلق التلفاز ثم نهض من على الأريكة وراح يسير داخل الشقة، فقادته قدماه إلى غرفة «چايدا».

فتح «هشام» باب الغرفة، ثم ضغط على زر الكهرباء ليضيئها، ومن ثم دخل إليه وهو يتحسس خطواته، ظل «هشام» يسير بخطوات متأنية وبطيئة إلى أن وصل إلى سرير «چايدا»، فرتَّبه كما لو كانت «چايدا» ستنام عليه الليلة، ثم جلس على حافة السرير ووضع يديه فوق رأسه ندمًا على قرار إبعاد «چايدا» عنه وترك مهمة رعايتها لـ«سارة»، شعور «هشام» بالندم جعله يركل خزانة الملابس التي أمامه بقوة، فانفتح باب الخزانة من شدة الركلة، وهنا رأى «هشام» شيئًا جعله يشعر ببعض من السعادة، حيث رأى الدمية القبيحة الخاصة بـ«چايدا» داخلها، والتي على ما يبدو أنه قد نسي أن يضعها ضمن الأغراض التي أخذتها «چايدا» معها، فنهض من على السرير ومد يده داخل الخزانة وأخرج الدمية وحملها معه، ثم خرج من الغرفة وأخذ هاتفه ومفاتيحه وغادر المنزل.

أحيانًا يمنحك القدر فرصة أخرى لتغير موقفًا أو قرارًا كنت مجبرًا على اتخاذه، ففي بعض الأحيان، يضطر المرء لأخذ قرار رغمًا عنه أو دون رغبة حقيقية فيه، على الرغم من أننا نعلم علم اليقين أن هذا القرار سيغير حياتنا وسيكون له تأثير عظيم عليها، ومع هذا تعطيك الحياة فرصة أخرى لتصحيح ما اقترفت من أخطاء، وهذا ما

حدث مع «هشام»، فبمجرد أن رأى دمية «چايدا» شعر أن القدر أراد أن يمنحنه فرصة أخرى لرؤيتها، وفرصة أخرى للعدول عن قراره بالابتعاد عنها.

ركب «هشام» سيارته ووضع دمية «چايدا» على المقعد المجاور له، ثم انطلق بسرعة كبيرة نحو فيلا «عاصم الدسوقي» حيث تمكث «چايدا».

وصل «هشام» إلى فيلا «عاصم الدسوقي»، والتي كانت هادئةً تمامًا سواء من الخارج أو من الداخل، عَبر «هشام» البوابة الحديدية للفيلا ثم سار قليلًا حتى وصل إلى الفيلا فطرق الباب، وفتح أحد العاملين بالفيلا الباب، فتحدث «هشام» إليه قائلًا:

- أنا هشام المليجي عم چايدا، وكنت جاي علشان أشوفها.

- والله يا هشام بيه، الست چايدا نايمة من بدري، لو حضرتك تحب ممكن أصحيها لك.

- لا مفيش داعي، طب ممكن أقابل سارة.

- آه طبعًا، اتفضل يا أستاذ هشام، أدخل عبال ما أطلع أدي خبر للست سارة إن حضرتك عايز تقابلها.

تحرك «هشام» إلى داخل الفيلا فيما صعد الخادم إلى غرفة «سارة» ليخبرها بطلبه، ثم نزل الخادم وتوجه إلى «هشام» وقال:

- الست سارة بتجهز ونازلة على طول، تحب حضرتك تشرب أي حاجة؟

- لا، شكرًا.

وقف «هشام» في منتصف الفيلا في انتظار نزول «سارة» إليه، لم تتأخر «سارة» كثيرًا في النزول على الرغم من أنها كانت ترتدي ملابس أنيقة للغاية وكأنها ذاهبة لحضور حفلٍ ما، أناقة «سارة» جعلت «هشام» يُصفِّر ويقول:

- إيه الحلاوة والشياكة دي كلها! إنتِ رايحة حفلة ولا إيه؟!

تبسمت «سارة» وقالت:

- يعني، حاجة زي كده، قُل لي بقى، كنت عايز تقابلني ليه؟

- مفيش، چايدا نسيت لعبتها عندي في البيت، فكنت جاي علشان أرجعها لها.

- بس كده؟! يعني إنتَ رجعت المشوار ده كله عشان اللعبة دي!

اقترب «هشام» من «سارة» وقال:

- الصراحة أنا رجعت لسبب تاني.

- إيه هو؟

- أنا رجعت عشان أسألك، إنتِ ليه عملتِ كده؟

ضحكت «سارة» ضحكة يغلب عليها الشر الممزوج بالخبث والدهاء ثم قالت:

- كنت عارفة إنك ذكي وهتكتشف اللعبة، بس للأسف اكتشفتها متأخر قوي يا هشام.

- طالما اكتشفت لعبتك القذرة، يبقى من حقي أعرف إنتِ عملتِ كده ليه واستفدتِ إيه من اللعبة الوسخة دي.

- استفدت إني انتقمت من أبويا وأخويا من اللي عملوه فيَّ زمان لما أجبروني على الجواز من راجل أنا مبحبهوش، ويا ريته كان راجل محترم، بالعكس، كان راجل سادي وكان بيمارس ساديته دي عليَّ لغاية لما جسمي اتشوه وفقدت القدرة على الإنجاب وبقيت عاقر، عشان كده كان لازم أنتقم منهم وأخليهم يدفعوا ثمن الذل والعذاب اللي أنا شوفته بسببهم.

- وللأسف أنا كنت شريك رئيسي في خطة الانتقام دي.

- إنتَ مكونتش شريك يا هشام، إنتَ كنت واحد من اللي أنا بنتقم منهم.

- واحد من اللي إنتِ بتنتقمي منهم! ليه؟ أنا أذيتك في إيه؟ ده أنا عمري ما حبيت حد في حياتي قدكِ وإنتِ عارفة كده كويس!

- عارفة، وعشان كده كان لازم أنتقم منك، لأنك اتخليت عني وسيبتني أواجه أهلي لوحدي، سيبتني أعافر مع الموج لوحدي رغم إننا كنا في مركب واحدة، عشان كده كان لازم أنتقم منك، وللأسف إنتَ مش بس اتخليت عني، إنتَ كمان خُنتني

مع أعز إنسانة ليَّ في الحياة، أختي دينا، وكانت نتيجة خيانتك ليَّ ولأخوك عصام طفلة اسمها چايدا، أظن الأسباب دي كفاية قوي عشان أنتقم منك!

- تستخدمي دراستك لعلم النفس عشان تقدري تسيطري على عقل چايدا وتخليها تعمل كل اللي إنتِ عايزاه وتنفذ كلامك بالحرف الواحد، وكمان تموتي ناس وتزوِّري عقود جواز وتدفعي رشوة لناس، كل ده عشان تنتقمي مني؟! لا بصراحة برافو عليكِ، خطة عبقرية ومضبوطة بالملي.

هنا جاء صوت من الدور الثاني للفيلا يتحدث إلى «هشام» قائلًا:

- أنا سعيد إن خطتنا عجبتك.

وجَّه «هشام» نظره صوب الطابق العلوي للفيلا ليرى الشخص الذي يتحدث إليه، وهنا كانت الصدمة، فقد وجد «هشام» أن أخاه «عصام» هو من يتحدث إليه، فتحدث «هشام» بدهشة وذهول شديدين قائلًا:

- عصام! إنتَ عايش!

نزل «عصام» على السلالم وهو يدخن سيجارًا فاخرًا حتى وصل إلى «هشام»، فأخذ نفسًا عميقًا ونفثه في وجهه ثم رد وقال:

- طبعًا عايش، مكانش ينفع أموت قبل ما أنتقم منك.

تحدث «هشام» وقال:

- دلوقتي بس عرفت إن كل حاجة بتعملها في الماضي بتتحاسب عليها وبتدفع تمنها في المستقبل، وأنا مستعد لدفع الحساب.

رد «عصام» وقال:

- قصدك مستعد للموت، الخيانة يا هشام تمنها الموت!

- ويا ترى وفقًا لخطتكم، مين اللي المفروض يقتلني، إنتَ ولا هي؟

ردت «سارة» وقالت:

- لا أنا ولا عصام، چايدا هي اللي هتقتلك!

ثم تحدثت بصوت قوي وقالت:

- چايدا، اقتليه!

نظر «هشام» إلى الخلف، فوجد «چايدا» تمسك سكينًا كبيرًا، وعلى الفور سددت «چايدا» عدة طعنات إلى «هشام» جعلته يسقط على الأرض، نزيف «هشام» لكَم كبير من الدماء جعله غير قادر على النهوض، لكنه ظل يزحف على الأرض حتى وصل إلى أحد الحوائط، فسند ظهره عليها ووضع يده على بطنه محاولًا إيقاف نزيف الدماء، صمود «هشام» وبقائه حيًّا جعل «سارة» تغضب وتتحدث إلى «چايدا» قائلة:

- خلصي عليه يا چايدا!

تحركت «چايدا» في اتجاه «هشام»، وما إن اقتربت منه حتى سددت طعنة أخرى نحوه، لكن هذه المرة، أمسك بيد «چايدا» وقرَّبها منه وراح ينظر في عينيها ويقول لها:

- بصي في عينيَّ يا چايدا، وافتكري الأيام اللي قضيناها مع بعض، بصي في عينيَّ وإنتِ تعرفي إني أقرب حد ليكِ في الدنيا.

نظرت «چايدا» في عينَي «هشام»، فتذكرت كل المواقف واللحظات السعيدة التي مرت بها معه، وتذكرت عندما كانت تنام إلى جواره لتطمئن وتنام في سلام، وتذكرت لقاءهما الأول وسر تسمية كلبته «بوو» بهذا الاسم، وتذكرت مداعبته لها ورقصها معه في فرح «شريف»، تذكرت «چايدا» كل الأوقات واللحظات مع «هشام» وكأنها تشاهد فيلمًا سينمائيًّا يمر أمام عينيها، فكانت النتيجة أنها تخلصت من سيطرة «سارة» النفسية عليها، حيث ألقت «چايدا» بالسكين على الأرض وارتمت في حضن «هشام» وهي تبكي قائلة:

- أرجوك يا عمو هشام، بلاش تموت وتسيبني، لو بتحبني بجد بلاش تموت.

ضمَّ «هشام» «چايدا» إليه ثم تبسم وقال:

- اطمني يا چايدا، أنا مش هسيبك، ولو مُت هكون فرحان وسعيد عشان مت على إيد ملاك زيك.

هنا تحدث «عصام» وقال:

- للأسف يا هشام، مش هتنول مرادك، لأنك هتموت على إيدي أنا!

ثم تحرك «عصام» ناحية «هشام» ليجهز عليه، لكنه توقف في وسط الطريق بعدما شعر باختناق شديد وعدم القدرة على التنفس، فتحدثت «سارة» قائلة:

- مالك يا عصام؟ إيه اللي حصل لك؟

في هذا الوقت، تبسم «هشام» ورد على «سارة» قائلًا:

- مش إنتوا بس اللي أذكياء وبتعرفوا تخططوا، أنا كمان بعرف أخطط زيكوا وأحسن منكوا كمان.

بدأت «سارة» هي الأخرى تشعر بضيق في التنفس، فتحدثت إلى «هشام» وهي تأخذ أنفاسها بصعوبة قائلة:

- تقصد إيه بكلامك ده؟!

رد «هشام» وقال:

- أقصد إني اكتشفت خطتكوا وعرفت إن عصام أخويا هو اللي ورا كل اللي بيحصل، وإن الجثة اللي كانت في الفيلا مع دينا كانت جثة رضا، السواق بتاعه، وطبعًا بسبب الحريق الجثة كان صعب إن حد يتعرف عليها بسهولة، وسعاد اتراضت هي وعيالها بشوية فلوس حلوين، وعرفت كمان إن عصام هو اللي قتل مها لأنه فعلًا كان متجوزها عرفي، وهو برضه اللي قتل البروفيسور كمال علام ودبح الكلبة بتاعتي، وطبعًا حادثة المُدرِّسة ووفاة البنت الصغيرة واللي حصل في فرح شريف وفي حفلة المدرسة، كل ده كان من تخطيطكم، الصراحة المعلومات دي مكونتش هعرف أوصلها مهما عملت، بس لما استلفت تليفون الأستاذة سارة عشان أكلم شريف ولقيت رقم عصام موجود في سجل المكالمات الأخيرة، فهمت اللعبة، وقررت إني أكملها معاكوا للآخر وأنتقم منكوا بطريقتي وبسلاح رخيص زيكوا، علبة برفيوم صغيرة، العلبة اللي أنا إديتها لك هدية، كنت عارف إنك بتحبي النوع ده من البرفان، وكمان عارف إن أخويا عصام بيحب ريحة الستات اللي بتستعمل البرفيوم ده، وبرضه كنت عارف إن إنتوا هتقضوا ليلة حلوة مع بعض

بعد ما أسلمك چايدا وأمشي، عشان كده حطيت غاز سام في البرفيوم، يعني كلها دقايق ونتقابل كلنا في جهنم، أنا سيبتكوا تعملوا كل ده عشان خاطر في الآخر بنتي چايدا هي اللي تطلع كسبانة، لأنها دلوقتي هتورثني كعمها وهتورث كل ثروة عاصم الدسوقي، وهتورثك إنتِ شخصيًّا، وطبعًا هتورث أبوها عصام، باختصار چايدا بنتي اللي من لحمي ودمي هي اللي كسبت.

في هذا الوقت، تمكن الغاز السام من «سارة» و«عصام» وفارقا الحياة، أما «چايدا» فتحدثت إلى «هشام» وهي تبكي قائلة:

- متسيبنيش يا عمو هشام، خليك معايا!

تحدث «هشام» وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة قائلًا:

- يا ريت كان بإيدي يا چايدا، لو عليَّ كان نفسي أعيش عمري كله معاكِ، بس القدر في النهاية هو اللي بيتحكم فينا وفي مصائرنا، مش دايمًا الحياة بتدينا كل اللي بنتمناه يا چايدا، أنا مش هكون معاكِ في الحياة، بس هكون مطمن عليكِ لأنك هتكوني مع شخص عزيز عليَّ، ودلوقتي غمضي عنيكِ ونامي في حضني، وأول لما تفتحي عنيكِ، عمو شريف هيكون هنا وهياخدك تعيشي معاه وهتكوني في أمان.

رفعت «چايدا» عينيها وقالت له:

- بس إنتَ عارف إني مش بعرف أنام غير لما أسمع حدوتة.

تبسم «هشام» وضمَّ «چايدا» أكثر إلى حضنه وقال:

- بس كده! إنتِ تؤمري يا سمو الأميرة، اسمعي يا ستي، كان في مرة بنت جميلة والناس كلها بتحبها، البنت دي كان اسمها چايدا، وكان عمها بيحبها قوي، وكان مستعد يعمل أي حاجة في سبيل سعادتها، حتى لو كان الثمن إنه يضحي بحياته، كان هيضحي بحياته علشانها، لأن چايدا بالنسبة له كانت هي الحياة!

وكالعادة، قبل أن يُنهي «هشام» حكايته، كانت «چايدا» قد نامت، وتوفي «هشام» وهو يحتضنها.

بعد هذه الحادثة مباشرةً، ذهبت «چايدا» للعيش في منزل «شريف»، حيث

قضت معه وومع زوجته عامًا كان هو الأروع بالنسبة لها وله أيضًا، حيث زادت أعمال «شريف» وتوسعت شركاته وأصبح يمتلك عددًا كبيرًا من شركات السياحة، كما أنه رُزِق خلال هذه الفترة بطفل سماه على اسم صديقه المُقرَّب، «هشام».

على مائدة الطعام، جلست «چايدا» تتناول وجبة الغداء مع «شريف» وزوجته، وبمجرد انتهاء «چايدا» من تناول طعامها دخلت إلى غرفتها لكي تذاكر بعض الدروس، وداخل غرفتها، وعلى مكتبها الصغير، جلست «چايدا» تذاكر وتراجع بعض الدروس، في هذه الأثناء، سمعت «چايدا» صوتًا ينادي عليها من خزانة ملابسها قائلًا:

- چايدا.. چايدا.. اللعبة هتبدأ!

تركت «چايدا» المكتب وتحركت بخوف وحذر نحو خزانة ملابسها، وما إن اقتربت منها حتى مدت يدها وهي ترتعد من الخوف وفتحتها، في لمح البصر، خرجت يد من الخزانة وسحبت «چايدا» إلى الداخل ومن ثم أُغلِقت.

عند المساء، وبينما كان «شريف» وزوجته وطفلهما الرضيع نائمين في غرفتهم، إذا بـ«چايدا» تفتح باب الغرفة، حيث كانت ترتدي فستانِ نوم أبيض وشعرها منكوش، وفي يدها سكينٌ كبير، وبمجرد دخولها إلى الغرفة، أُغلِقَ الباب بقوة، تبعه صوت صرخات كثيرة وعالية، ومن ثم بدأت الدماء تخرج مِن أسفل باب الغرفة مثل أمواج البحر.

«تـــمـــت»